الطائفيّة والحكم في لبنان

جمال الألفي

سلسلة
ثقافية
شهرية



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : كمال النجمي

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB ALHILAL

العدد ٣٩٨ ـ جمادى الاول ١٤٠٤ ـ فبراير ١٩٨٤

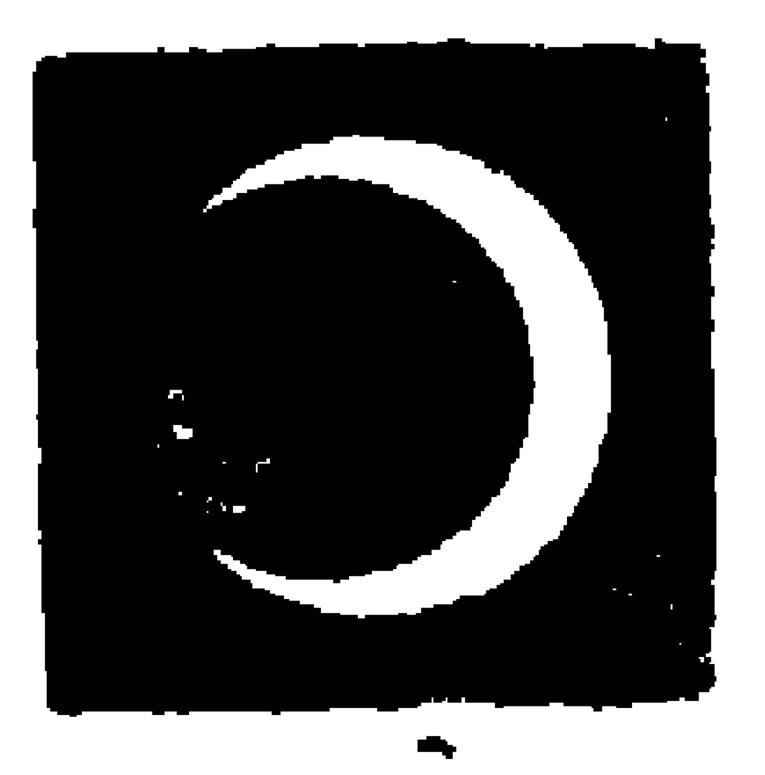
No. 398 — February 1984

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية و ٦٠٠ مليم بالبريد العادى . وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي وباكستان خمسة جنيهات مصرية أو مايعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى وعشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــــلاف بريشــة :
الفنانة سميحة حسنين

جمـــال الألــفى

الطائفيّة والحكم فى لبنان

دار الهـــلال

مقدمة

يتميز تاريخ لبنان بقابليته للتكرار ، وان اختلفت الرموز أو الشخوص ، هذا النوع من التكرار الذى قد يبعث على الملل ، يتميز بخاصية فريدة ، قل وجودها فى تاريخ الشعوب ، أن استمرارية التاريخ اللبنانى لم تتقدم خطوة واحدة الى الأمام ، تجاربها لا تقدم اضافة ، اذا كان هناك ثمة اضافة : فهى الى الاسوء على الدوام ...

اقرب الأمثلة ، تاريخ لبنان على امتداد ربع قرن ، يبدأ منذ عام الثورة الاهلية ١٩٥٨ ، لا ينتهى بالعام الحالى ١٩٨٣ ، الأحداث مستمرة ، بنفس وقعها التقليدى ، مع المزيد من التردى الى وقائع أكثر مأساوية ، لا نعتقد أن شعبا آخر ، غير اللبنانيين ، قد عايشها بمثل هذا الحجم ، أو تعود عليها ، كما لو كانت عمليات القتل ، والتهجير ، والاتهامات المتبادلة ، والهروب مرة الى الخلف ، ومرة أخرى الى الأمام : هو خط الحياة العادية لكافة البشر ...

كل التدخلات الأجنبية فى الشئون اللبنانية فى عام ١٩٥٨ ، هى نفس التدخلات الاجنبية الموجودة

عام ١٩٨٣ ، باستثناء واحد ، هو اسرائيل ، الذى كان تدخلها عام ١٩٥٨ غامضا وغير مؤثر ، ولكنه ظل موجودا سواء بشخصه أو عن طريق وكلائه من الامريكيين ...

عندما عادت الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ ، ما زالت الحرب مستمرة حتى الآن ، بعد مرور ثمانية أعوام ، لا زالت كل العوامل التى فجرت الحرب ، قائمة بعنفوانها، فضلا عن قابليتها الفريدة للاستمرار ، والانتشار ، فى العام ١٩٨٣ ، توجد قوات احتلال اسرائيلية فى جنوب لبنان ، تخطط للبقاء ، طالما ظلت أسرائيل قادرة على البقاء على حساب الجيران ، تبلغ مساحة جنوب لبنان ١٧٥٠ كيلو مترا ، تمثل ربع مساحة كل لبنان ...

توجد أيضا فى لبنان قوات للأمم المتحدة ، وقوات ما يسمى بالمتعددة الجنسية ، ومعروف أن هذه القوات لا يوجد لها سند دولى ، ولا تعرف عنها الأمم المتحدة شيئا ، وهى قوة يستند وجودها فى لبنان الى اتفاق ثنائى بين الولايات المتحدة الامريكية وبين حكومة لبنان ، ثم باتفاق بين الولايات المتحدة الامريكية وبين كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، وهذه القوة الرباعية الغربية موجودة فى لبنان منذ عام ١٩٨٢ ، ويتزايد وجودها باضطراد ، كما تزيد صلاحيتها وفقا لتداعى الاحداث اللبنانية ، فقد كانت مهمتها اشرافية فى البداية ، تحولت الى قوة مراقبة فيما بعد ، ثم انتهت الى تكليفها بمهمات قتالية ، وقد اشتركت سفنها وطائراتها ومدافعها فى الحرب الاهلية بحجة ايقاف اطلاق النار بين الاطراف اللبنانية المتصارعة ، ثم بحجة مساندة الشرعية ، بمعنى تأييد حكم الكتائب لشعب لبنان .

توجد ايضا فى لبنان بعض القوات من الحرس الثورى الايرانى ، الذى ارسله الامام الخومينى الى منطقة طرابلس ، تحت دعاوى كثيرة من بينها تأييد السوريين أو الدفاع عن الفلسطينيين ، أو دعم الطائفة الشيعية اللبنانية . أو اثبات التواجد الايرانى فوق ساحة القتال اللبنانية ، وهى مهمة تثير خيال الثورة الايرانية ، وتعتقد بامكانية تصدير أفكارها الى بقية أنحاء العالم العربى ، وبالتالى جعلت من لبنان حقلا متقدما لتجاربها فى تصدير الثورة ...

توجد ايضا قوات لسوريا متواجدة منذ سنوات طويلة ، حضرت أولا لتأييد الموارنة ضد الفلسطينيين عام ١٩٧٦ ، وانتهت حاليا بالدفاع عن وجودها الشخصى فى لبنان ، بعد مطالبة اسرائيل والولايات المتحدة بخروجها من البقاع اللبنانى ، وخاصة بعد توقيع الاتفاقية الاسرائيلية - اللبنانية فى ١٤ مايو ١٩٨٣ ، والتى اشترطت اسرائيل بسببها اخراج السوريين ...

وكانت القوات السورية قد نزلت اراضى لبنان بموافقة جامعة الدول العربية ، وكانت دول البترول العربية هى التى تتكفل بتغطية نفقات القوات السورية فى لبنان ، وحتى الآن ، غير أنه منذ عام فقدت الجامعة العربية اية فاعلية ، واشترطت سوريا اخراج القوات الاسرائيلية أولا ، قبل التفكير فى الحديث عن خروج سورى من لبنان ...

توجد أيضا قوات ليبية فى لبنان ، تحت شعارات مختلفة ، من بينها تأييد التواجد الفلسطينى المزعزع ، أو دعم السوريين ، او مشاركة الايرانيين اهتمامهم

بالوضع اللبنانى ، أو اثبات التواجد الليبى فى حد ذاته .. وهى أيضا قضية تثير خيال الزعيم الليبى معمر القذافى ، بشكل مباشر ...

بالنسبة للتواجد العسكرى الفلسطينى ، لقد تم ضرب هذا التواجد بقسوة ، عقب الغزو العسكرى الاسرائيلى للبنان ، فى يونيو عام ١٩٨٢ ، لقد دخلت اسرائيل اراضى لبنان رافعة هذا الشعار وحده ، كمبرر نهائى لاحتلالها لبنان ، تم بالفعل اخراج عرفات ومعظم مقاتليه بمطالبة دولية وموافقة عربية شبه جماعية ، ما تبقى حاليا من فصائل عسكرية فلسطينية سواء فى البقاع أو فى طرابلس . لا تساوى شيئا الا رمز الوجود وحده ، فالقوات الفلسطينية فى البقاع متصارعة ، ويحكم حركتها التواجد العسكرى السورى الكثيف فى المنطقة ، فى منطقة طرابلس ، ربما كان الوضع أسوأ حالا بالنسبة للفلسطينيين ، فهم يرفعون السلاح فى وجه بعضهم البعض ، فى قتال مستمر بين انصار عرفات وأعدائه ، يحيط بهم من كل جانب قوات سوريا والحرس الثورى الايرانى ، والجنود الليبيين ، وميلشيات الكتائب ، بينما تحكم حركة الجميع مدافع الاسطول الامريكى والقوات المتعددة الجنسية ، وقوات الاحتلال الاسرائيلى .

الى جانب كل هذه الجيوش العربية والاجنبية المتواجدة فوق الاراضى اللبنانية ، توجد ميلشيات محلية تقوم بدورها القتالى على أكمل وجه ، لصالح أهدافها الخاصة ، التى قد تتفق أو تختلف مع أهداف ومصالح القوى الغير لبنانية ، أهمها ميلشيات حزب الكتائب

المارونى ، وميلشيات الدروز ، والشيعة .. والمرابطين ، وميلشيات للحزب الشيوعى اللبنانى ، والحزب القـومى السورى ، وجماعات البعثيين .. الخ ...

يأتى فى نهـايـة القـائمة العسكرية المطولة ، جيش لبنان الرسمى ، هذا الجيش لا يوجد له وجود حقيقى ، فقد أنهت الحرب الاهليـة التواجد الرسمى والفعلى للجيش اللبنـانى قبل ثمانية أعوام ، وعندما دخلت قوات اسرائيل عام ١٩٨٢ أراضى لبنان ، لم يكن للبنان جيش بالمعنى المعروف أو غير المعروف .. !!

بعد التوصل الى انسحاب جيش اسرائيل من بيروت واخراج عرفات وقواته ، ودخول حزب الكتائب لأول مرة قصر الرئاسة اللبنـانية ، بدات الولايات المتحدة تفـكر فى اعادة تأسيس الجيش اللبنانى قبل عام واحد ، غير أن سرعة تداعى الاحداث الدامية لم تمكن الولايات المتحدة من اعادة بناء جيش وطنى لبنانى ، بأمل تأكيد السلطة المزعزعة للحـكم الشرعى للبـلاد والذى يحظى بعطف الامريكيين ، وعنـدما اضطر هـذا الجيش لدخول أول تجربة له فى القتـال ضـد ميلشيات الدروز فى سبتمبر ١٩٨٣ ، ثبت انه لا يوجد جيش ، وانه لابد من تدخل كثيف من جانب القـوات الامريكية فى بيروت ومدافع الاسطول السادس الامريكى فى عرض البحر لانقاذ بقايا الجيش اللبنانى من منطقة سوق الغرب على طريق بيروت ، بعد أن فقد الجيش فاعليته المحلية ، وتورطه فى القتال الطائفى ، وهجـرة الجنود والضباط الدروز وعلى رأسهم رئيس أركان الجيش ، تكون لبنان ، هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا يوجد لها جيش وطنى ،

بينما يوجد فوق أراضيها ، بشكل مباشر ، قوات تمثل حلف الاطلسى ، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليـــا الى جانب اسرائيل .. مقابل قوات تحمل أسلحة حلف وارسو ، ومتهمة بأنهـــا تنفذ مخططات سوفييتية مثل سوريا والفلسطينيين والليبيين ، داخل دولة لا تمتلك جيشا ، وتعيش فى ظل حكومة انتقالية ، تطالب كل الفصـــائل اللبنانية بضرورة ازاحتها أولا ، كبداية معقولة للحديث عن أى وفاق محتمل ...

***

هذه هى لبنان التى أزعجت حوادثها كل عربى طيـلة الشهور الماضية ابتداء من سبتمبر عام ١٩٨٣ ، حتى الآن ، أزعجت كل عربى ، لا يجد تفسيرا معقولا لـكل ما يجرى هناك ، دون سند واقعى ، أو مبرر أخلاقى ، أو مصلحة وطنية ، فضلا عن احتمالات تداعى مخاطر الواقع اللبنانى ، على الوجود القـومى للعـالم العـربى بأكمله ..

***

ان التواجـــد الطـائفى ، ليس بدعة تتفرد بها لبنان دون بقية دول العالم ، يكفى نظرة راحدة داخل الوجود الاسرائيلى المجاور لنكتشف طـوائف وفئـــات وطبقـات يصعب تواجدها داخل اناء واحد ، يهود غربيون فى قمة الهرم الاجتمـــاعى يحكمون ، ويمتلكون ، ويحتكرون السلطة والمناصب العليا فى كل نواحى الحيـــاة المدنية والعسكرية والاقتصـــادية ، الى جانب يهود شرقيين يعتبرون شركاء من مرتبة أقـل ، ومن داخـل الفئتين ، توجد عشرات الطوائف الدينية اليهودية المتصارعة ، فيما

بينها ، الى الحد الذى لا يجوز فيه زواج افراد طائفة من افراد طائفة يهودية اخرى ... !!

الى جانب اليهود يوجد عرب فلسطينيون ، وتوجد كنائس ومعابد ومساجد ، وتنتشر الاديرة هنا وهناك ، ولكن الدولة اليهودية تعيش حياة علمانية ، وحكومة ترفع شعارات دينية ، وتطبق كافة سياساتها الداخلية والخارجية بطريقة برجماتية ..

والاحزاب الدينية فى اسرائيل ، تقدم خدماتها منذ قيام الدولة للحزب السياسى الذى يتفوق بالقدر الذى يجعله يصل الى كراسى السلطة ، والاحزاب الدينية الاسرائيلية تتعامل مع حزب العمل بنفس القدر من العدل الذى تتعامل به مع احزاب الليكود رغم التناقض الواضح بينهما فى مجالات العمل الداخلى على الاقل ، انها تتعامل فقط مع من يفوز بالسلطة ، للفوز بالمزيد من المغانم ، كل ما يهمها الحصول على بعض المقاعد الوزارية ، ولعل أهم شخصية دينية فى اسرائيل لها حضور سياسى بارز ، وهى شخصية السيد أهارون ابو حصيرة ، وهو زعيم لأكبر الاحزاب الدينية فى اسرائيل ، وكان وزيرا دائما فى كل الحكومات الاسرائيلية تقريبا منذ قيام الدولة ، وكان وزيرا للأديان فى حكومة بيجن الاخيرة وهو عضو دائم فى الكنيست الاسرائيلى ، اين ابو حصيرة الآن ، يعيش داخل سجون اسرائيل ، بعد ان فقد منصبه السياسى ، وان كانوا فى اسرائيل قد احتفظوا له بمقعده فى الكنيست ، لا اعجابا بالشيخ ، ولكن من اجل المحافظة على صوته داخل الكنيست لصالح الحكومة اذا اقتضى الحال ..

اما جريمة الزعيم الدينى اليهودى ، فهو أنه تقاضى رشاوى ، وانفق من اموال الجماعات الخيرية على هواه ، ويقضى ابو حصيرة حاليـــا ايامه فى السجن ، وعندما وجدت حكومة شامير انها محتاجة اصوته فى الكنيست لكى تفوز بالثقة ، قالوا ان أبا حصيرة شيخ كبير السن . وصحته لا تساعده على مشقة حياة السجون ، جعلوه يقوم بأعمال كتـــــابية داخل احد مراكز الشرطة لمدة ١٠ ساعات يوميا ، ثم حملوه من مركـــز الشرطة بعد ظهر يوم الاثنين ١٠ اكتوبر ١٩٨٣ تحت حراسة مشددة، الى مبنى الكنيست ليدلى بصوته لصالح حكومة شـــامير التى كانت فى أمس الحـــــاجة لصوت الزعيم الدينى السجين ، لـكى يفـــوز بثقة ضئيلة ، تؤهله بالـكاد لتشكيل حكومة تواصل سياسة بيجن المريض .. !!

بعد أن قام الزعيم الدينى أبو حصيرة بدوره السياسى المطـلوب فى الـكنيست ، أعيـد مرة أخرى الى مركز الشرطة يستكمل مدة عقوبته ، عشر ساعات يوميا فى عمل كتابى يتسم بالكآبة .. !!

هذا هو أبو حصيرة ، الذى يتمتع بالمكانة الدينية ، والنفوذ السياسى ، ولاجداده مزارات يطـوف حولهـــا اليهود المتدينون ، منذ عدة قرون .. !!

ولكن اسرائيل دولة علمانية ، واجماع الامة المتعددة الجنسية تعلو فوق كل اعتبار ..

غير أن الاهم من ذلك كله ، أن كافة القوى الاجنبية التى ضمنت اقامة دولة اسرائيل ، واستمرار كيانها ، يهمها هذا الاجماع القومى داخل اسرائيل كضمان وحيد لاستمرار الدولة التى تريدها فى الشرق الاوســـــط ،

وبالتالى لا توجد تدخلات اجنبية فى مشكلة الطوائف الدينية داخل اسرائيل ، حتى لا تضيع الدولة اليهودية نفس الميزة التى تم حرمان لبنان منهـا ، بشكل أساسى ، وبطريقة مطلقة ، قبل استقلال لبنان . وبعد استقلاله ، وحتى اليوم ..

***

لا يتحـدث أحـد عن طائفيـة دولة دينية مـثـل اسرائيل ، بينما يصير الحديث عالميـا عن طائفية دولة قامت باتفاق علمانى مثل لبنان ، ذلك ان اتفاق عام ١٩٤٣ وهو ما يعرف باسم الميثاق الوطنى ، ظهر الى الوجود بشكل أساسي لينظم عملية الحكم والسلطة ، ولم يكن ابدا سلوكا دينيا ، ينظم عمل الكنائس او المساجد او يبحث في شئون الاديرة ، كان ميثاق ما بعد الاستقلال ينظم كيفية حكم دولة غير انهم هناك تنفيذا لرغبة فرنسا وغيرها ، جعلوه ميثاقا طائفيا ، وفقد مدلوله الوطني الذى ظهر من اجله ، ليشتهر فيما بعد بأنه أصبح ميثـاقا طائفيا ، واخضعوا الاديان السماوية لتوزيع منـاصب دنيوية ، واغتنام أوقاف خيرية وقاموا بتأسيس ميلشيات عسكرية للمحافظة على حقوق مدنية مكتسبة بسـطوة السلاح لا بقوة اليقين ، واكلوا أموال المسلمين والمسيحيين معا ، ثم رهنوا البيت للاجانب ، وباعوا ما أمكنهم بيعـه لكل عابر سبيل .. !!

***

ليست الطائفية محنة لبنان الاساسية ، غير انهـم اشاعوا انها الاساس ، وروج أعداء العرب فى الخارج للطائفية ، وجعلوها غولا يبتلع لبنان ، ويهـدد الآخرين بالابتلاع ، تصـدق أوربا وامريكا حتى الآن أن العرب

ما زالوا بلهــــاء ، يصدقون كل ما يحكى لهم ، ما يتم تصديره من بضاعة أوربية وامريكية ؛ تظل مقبولة عربيا في كل وقت ، حتى لو كانت بضـــاعة مغشوشة ، البضاعة الغربية لا تقف عند حدود السـلع والمـكن ، وانما تشتمل الاديان والمذاهب ، وأيضا العقائد والافكار المغلقة ، بأطنان من الاكاذيب .

***

سوف نكتشف من خـلال هـذه الدراسـة ، انهم أنكروا على الدروز العرب نسبهم العربى ، وأنكروا عليهم دينهم ، وجعلوهم مرة من صلب الفرنسيين والصليبيين، وارتفعوا بهم مرة الى مصاف العائلات الملكية فى بريطانيا العظمى ، غير أن الامريكيين لم يعجبهم مثل هذا الكلام ، فاخترعوا نسبا جـديدا للدروز يبعـدهم عـن شرف الانتساب للفرنسيين والبريطانيين كما أنكروا أيضـا نسبهم العـربى ، ووجدوا بعد مقتـل الزعيم الدرزى كمال جنبلاط منذ ٦ سنوات فقط ، وجدوا أنه من المفيد أن يقال أن كمال جنبلاط من عائلة نزح افرادها من بلاد القـوقاز الى جبـل لبنان ، منـذ قرنين من الزمان ، لا ندرى ، ربمـا يتفضـل احد المؤرخين أو المستشرقين الاجانب ، ليعيد اكتشاف الدروز من جديد ..!!

يعتقدون أن العرب على استعداد فطرى للاستماع الى كل ما تطهيه مطابخ أوربا وأمريكا ، وتقدمه للعرب ، حتى لو كان طعاما فاسدا .. !!

***

ان مشكلة لبنـان الحـالية ، ليست طائفيـة بقدر ما هى مشـكلة التدخلات الاجنبية ، كانت الطـوائف

موجودة فى لبنان عام ١٩٥٨ ، وعندما نزل ٢٠ الف جندى أمريكى شواطىء لبنان ، خرجوا بعد أربعة شهور فقط ، أما القوات الامريكية التى نزلت لبنان منذ بداية خريف ١٩٨٣ ..

فهى تخطط فى أكتوبر عام ١٩٨٣ للبقاء فى لبنان الى اجل غير مسمى . والطوائف اللبنانية كما هى لم تتغير ... !!

ويفخر الجنرال شارون ، على صفحات احدى جرائد اليمين الفرنسى ، الفيجارو ، ويقول فى أكتوبر ١٩٨٣ انهم بغزو لبنان ، قد مهدوا للحضارة الاوربية والسياسة الامريكية للتواجد المستمر فى لبنان .. وهكذا تكون التدخلات الاجنبية ، وليست الطائفية ، هى مأساة لبنان ...

كانت طوائف عام ١٩٥٨ فى لبنان ، هى نفس طوائف لبنان عام ١٩٨٢ ، والذى طلب القوات الاجنبية فى الحالتين ، زعماء سياسيون من طائفة المارون .

الذى اختلف فى الحالتين أمر واحد ، تتمثل فى مدى المقدرة العربية على طرد الاجانب .. وليس عام ١٩٥٨ بأى حال هو عام ١٩٨٣ بالنسبة ظروف العالم العربى ...

***

توجد فى لبنان ١٤ طائفة دينية ، غير أن أربعة فقط هى التى تحظى بالاهتمام العام ، ولا تفوز الا طائفة واحدة فى كل الاحوال بالدعم والشهرة والتأييد ...

الطوائف الاربع ، هى الدروز ، والمارون ، والمسلمون السنة ، والمسلمون الشيعة .

أما الطائفة المميزة والوحيدة فهى طائفة المارون ..

وخاصة بعد أن تمكن حزب الكتائب اليميني من البروز كواجهة سياسة وعسكرية وحيدة للطـــائفة ، وعقب الانسحاب الجزئي المفاجيء للقوات الاسرائيلية من منطقة الشوف في جبل لبنان ، ٣ سبتمبر ١٩٨٣ حاول حـزب الكتائب الماروني ، الاستيلاء على المنطقة ، بقوة السلاح ، وبتأييد الجيش ، وبموافقة الولايات المتحدة واسرائيل ، بطرد سكانها من المسلمين الدروز ، ونشبت المعارك ، اتسعت بدخول أطراف أجنبيـــة الى جانب ميلشيات الكتائب ، وبدأت الحرب الاهلية ، وبدأت معهـــــا التدخلات العسكرية الامريـكية ، تحت شعار حمـــاية الشرعية ...

ثم تدخلت قوات فرنسا وانجلترا وايطاليـــا ، أهم القوات داخل حلف الاطلسي ...

وأصبحت لبنان طوال الفترة التي تبدأ من سبتمبر الى أواخر اكتوبر ١٩٨٣ ، نقطة صراع عالميـــة ، بدأت بحكاية صغيرة ملفقة اسمها الطائفية اللبنانية اخترعهـــا الغرب ، وصدقها العرب ، غير أنهـــا الآن تهدد بحرب عالمية ثالثة ...

يقـــول الرئيس ريجـــان في حديث خـــلال الاسبوع الاول من أكتوبر ١٩٨٣ أنه يشعر بأنه على أبواب حرب عالمية ، وأن أكثر ما يخشاه أن الحرب العالمية الاولى ، بدأت بسبب أمر بسيط ...

في هذه الدراسة متابعة لأحداث هذه الفترة من حياة لبنان ، مع تعريف بالطوائف الاربع الـكبرى في لبنان ، والتي يقول الرئيس الامريكي أنه بسببها ، بدأ يتذكـر أن الحرب العالمية الاولى ، بدأت بسبب حادثة عادية..!!

غير أن الرئيس الامريكي دون شك ، يعلم أن ظروف ماقبل ٦٠ عاما لم تعد قابلة للتكرار فى هذا العصر الذى تحكمه عدة أزرار يكفى الضغط على احداها ، بسبب خطأ ما ، لكى يلف الدمار والفناء سائر البشرية .

لم تكن وسائل الدمار عام ١٩١٤ هى وسائل الدمار عام ١٩٨٣ ، والمسألة العادية قبل الحرب العالمية الاولى سوف تكون بالقطع مسألة غير عادية قبل الحرب العالمية الثالثة ، واذا كانت المواجهة الامريكية — السوفييتية على أرض لبنان حاليا ، أصبحت لا تحتمل المزيد من الاقتراب الساخن ، فليست الطائفية فى لبنان ، اميرا نمساويا يتم قتله عن طريق الخطأ ، هذا مفهوم ، ويعرفه الجميع ، والطائفية اللبنانية مظلومة من كل الاطراف ، ويجرى تحريكها وفقا لرغبات هؤلاء أو هؤلاء ، وليس بسبب تعاسة أهل الطوائف اللبنانية ، تقوم الحرب الكونية الاخيرة فى هذا العالم الشديد التعاسة ...

***

سوف تعرف بعد متابعة تاريخ الطوائف الاربع الكبرى فى لبنان ، كما هى موجودة فى هذه الدراسة ، كيف تعيش فى ظل ظروف تاريخية بالغة السوء ، كيف تم نكران حقوقها ، كيف تكلم باسمها الآخرون طوال الوقت ، كيف تم استخدامها لمصلحة كل أولئك الذين طمعوا فى لبنان ، وأرض لبنان ، على مر العصور .

حتى طائفة المارون ، أقوى الطوائف وأكثرها نفوذا ، سوف نكتشف أنها كانت طوال التاريخ ، دمية تحركها قوة أجنبية كبرى ، لصالح فئة ضئيلة من داخل الطائفة،

مقابل الفتات ، بينما تحصل القوة الاجنبية الكبرى على كل ما تريد ، وزيادة ...

***

لقد جرى العبث أيضا بمصالح المسلمين السنة . حتى ابان الاستعمار العثماني الطويل ، رغم ان العثمانيين من أهل السنة ، ولكن ذلك لم يشفع للمسلمين السنة من اللبنانيين أصحاب البلاد ، فالاستعمار هو الاستعمار ، لا شيء أكثر أو أقل ...

سوف نجد أن أهل الشيعة اللبنانيين ، قد جرى ابتزازهم طوال الوقت ، حتى من جانب أقوى دولة اسلامية شيعية فى الشرق ، وهى ايران بعد نجاح الخومينية هناك ، وكيف خدع الامام موسى الصدر شيعة لبنان ، وتحدث باسمهم ، وتاجر بكل أمانيهم ، وكانت رغبتهم دائما تخطى حاجز البؤس والفقر الذى عاشوا فيه طوال القرون ، وعندما اطمئنوا الى الامام الصدر كمنقذ ومخلص ، ظهر أنه لا يقل عدوانية عن زعيم الموارنة ورئيس تنظيم الكتائب الشيخ بيار الجميل .. وأن الرجلين طائفيان من الرأس حتى القدم ...

***

ان المشكلة اللبنانية فى الاساس ، تنحصر فى ثلاث دوائر متشابكة ، وشديدة الخطورة ، وقابلة للانفجار ، فى أى وقت، ويجرى تعتيمها دائما تحت أردية دينية ، وشعارات طائفية ، وتدخلات أجنبية ، والخاسر الوحيد فى كل الاحوال هو المواطن اللبنانى .

الدائرة الاولى : ان لبنان كدولة مستقلة ، ظهرت عام ١٩٤٣ تحت حكم طائفى ، باركته أوربا وأمريكا ،

وجعلت الغلبة فيه للصفوة من طائفة المـارون ، وقالت أوربا وأمريكا صراحة أن الموارنة هم ، ورثة الصليبيين، وتعمدت اهمـــال بقية شعب لبنان ، وغبن حقوقه ، ووضعه فى المرتبة الاقل من حيث المواطنة اللبنانية ...

وبعد ٥ سنوات فقط ، كان الغرب على استعداد فى مايو ١٩٤٨ لزرع دولة يهودية فى المنطقة الى جانب لبنان، فاذا كان الموارنة من أهل المنطقة وأصحاب البلاد ، فان اليهود أيضا رفعوا نفس الدعوى ، وقالوا أنهم كانوا فى المنطقة ، قبل الفى عام وأنهم عادوا اليها ...

ومنذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ حاولت أن تنسج علاقاتهـا مع الصـفوة من موارنة لبنان ، وبعد ٣٥ عاما كانت اسرائيل على استعداد لغزو لبنان كله ، وأن تجعل عن طريق القوة المسلحة الصفوة المارونيـة فى مرتبة أقل ، قد لا تزيد قليلا عن مجرد وكلاء لها داخل البلاد .. ولم يمض عام واحد على الغـــزو ، حتى كان الخلاف بينهما من العمق الذى يسمح للولايات المتحدة الامريكية بالتدخل السياسى والعســـكرى لبسط كامل حمايتها وسيطرتها على لبنان ...

الدائرة الثانية ، أن اللبنانيين من غـــير المـــوارنة ، حاولوا التعايش فى ظل أوضاع ما بعد الاستقلال ، غير انهم فشلوا ، لذلك فان نصف تاريخ ما بعد الاستقلال اللبنانى ، هو نفس الوقت تاريخ الثورات الوطنية فى لبنان ، اما النصف الآخر ، فهو تاريخ الحروب الاهلية اللبنانية .

لماذا ، لان التركيبة الطائفية لحكم البلاد قدمت اغـراء كافيا لكافة التدخلات الاجنبية ، فى الشئون الداخليـة

اللبنانية ، بالقدر الذى أفقد الحكم الوطنى مبرر وجوده نفسه ، وهو وضع لا يمكن استمراره ، أو ضمان شرعينه بأى حال فى لبنان ، أو غير لبنان ... احدى حقائق الحياة الثابتة ، الغير قابلة للتبديل أو التزييف تحت مختلف اللافتات ..

كذلك لان لبنان جزء من العالم العربى ، الاسلامي الذى يضم أقليات مسيحية ، وغير مسيحية ، منذ ظهور الاديان ، هذا العالم الاسلامى لا يقبل بحكم التاريخ ، ومنطق الحياة ، حياة طائفية تقرر بالضرورة حكومات للأقلية ، وهو هدف استعمارى قديم ، قدم الاستعمار نفسه ، حتى قبل ظهور الاديان السماوية ، لذلك كان العالم العربى ، طواعية او كرها ، شديد الحساسية تجاه كل ما يجرى فى لبنان ، قبل الاستقلال ، وبعد الاستقلال ، وليس صدفة أن يكون اللبنانيون جميعا ، طوائف وأحزابا ، فى وفاق تام ، كلما كان المد العربى غالبا ، أما فى حالات الانحسار العربى ، فان أبرز هزائم العالم العربى ، كانت تطل على أرض لبنان فى شكل نزاعات بين أفراد الشعب اللبنانى ، تأخذ طابعا طائفيا ، كما هو الحال هذه الايام ...

***

الدائرة الثالثة ، فى سلسلة الظاهرة اللبنانية الشديدة التعقيد أن الشعب اللبنانى كله ، يعتقد أن مأساته لا توجد فى الطائفية وذيولها ، وارتباطاتها الداخلية والخارجية ، يعتقد الشعب اللبنانى أنه توجد أقلية غنية مترفة من داخل كل الطوائف اللبنانية ، هى التى تمتلك كل شىء ويجب على الآخرين أن يقبلوا

بالوضع ، أو ينزحوا مهاجرين ، وليس غريبا أن يكون الشعب اللبنانى ، دون غيره فى العالم العربى ، هو الاكثر ميلا الى الهجرة والاغتراب ، فى أركان العالم الاربع ، طيلة النصف قرن الاخير،خاصة بعد عام ١٩٢٠، عندما دخلت فرنسا مستعمرة أرض لبنان ، كدولة انتداب بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ...

ان الصفوة الغنية فى داخل طائفة المارون ، لا تنفرد وحدها بثروة لبنان ، توجد أيضا قلة غنية من داخل طائفة المسلمين السنة ، أصحاب ملايين ، من العقارات والتجارة ، وملاك الاراضى ، حتى المؤسسات العلمية والتربوية ، يتم اتخاذها كمصادر الربح فى لبنان .

ان طائفة الشيعة ، التى تعانى بؤسا عظيما ، فى لبنان ، لا يمكن أن تبتعد عن هذه القاعدة ، يوجد الف مليونير لبنانى من أهل الشيعة المسنمين فى لبنان ... وللدروز أيضا أمراء وأثرياء ، وأصحاب قصور ، ورجال يمتلكون الملايين ...

قضية الشعب اللبنانى فى بساطة ، هى قضية اقل من ١٠ ٪ فقط من مجموع الشعب اللبنانى ، يمتلكون اكثر من ٨٣ ٪ من مجموع الثروة القومية للبلاد ، أما بقية الشعب اللبنانى فهم على هامش الحياة ، اما يتم تجنيده مرتزقة فى الميلشيات الحزبية ، أو ميلشيات ملوك الطوائف ، أو يعملون فى أقل الاعمال احتراما واجرا ، أو يهاجرون الى حيث المجهول ...

وهكذا بينما نجد محاولات كثيرة فى كل الدول المحيطة للبنان فى الشرق الاوسط ، قد اخذت بأساليب اعادة توزيع الثروة بما يكفل نوعا من العدل الاجتماعى

للجميع ، نجد أن لبنان هي الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لم تعرف مطلقا اى نوع من أنواع العدل الاجتماعى ، أو التنظيم الاقتصادى ، حتى وظائف الدولة ومناصبها العليا موقوفة على بضع مئات من العـــائلات اللبنانية فقط ، تتوارثهـــا أبا عن جد ، كحق الهى ، بينما يتم حرمان كافة أفراد الشعب الآخرين ، من مجرد التطلع الى مثل هـذه المناصب أو المواقع ذات الشأن ، سواء داخل مؤسسات الحكم ، أو الاقتصاد ..

***

تلك هي الدوائر الثلاث التى تعانى منها لبنان ، والتى يلفونها دائما برداء طائفى فضفاض ، لاخفاء الحقائق ، وهى خطيرة ، وليست أمرا عاديا ، أو حدثا بسيطا يمكن أن يتسبب كمـا يقول الرئيس ريجان فى قيام الحرب الكونية الاخيرة ..

***

كـــان الغـــزو الاسرائيلى الشـــامل للبنان ، فى يونيو ١٩٨٢ ، أمرا شديد الغرابة بالنسبة لقطـــاعات كبيرة من الرأى العـــام العربى ، غير أن دخول جيش اسرائيل عاصمة عربية لاول مرة ، لم يكن حدثا شـديد الوقع ، أو مثيرا للدهشة ، بالنسبة للعواصم الاوربية والامريكية ، أما الامر الاكثر غرابة فهو أن أهل بيروت نفسها ، بما فيهم من اللبنانيين والفلسطينيين أيضا ، لم يكن دخول قوات الجنرال الاسرائيلى شارون ، مثارا لدهشة احد داخل بيروت نفسها .. !!

وقد أصيبت كافة العواصم العربية بما يشبه الشلل عشية دخول القوات الاسرائيلية احدى العواصم العربية،

عن طريق الغزو المسلح ، وقد فرحت اوربا والولايات المتحدة لهذه الظاهرة العربية ، وتوسعت فى شرح الظاهرة الفريدة ، وقالوا أن العرب قد اثبتوا عجزا ، وانهم غير قادرين على رد العدوان الاسرائيلى ، غير أن الدعايات الاوربية والامريكية ، توقفت عند نصف المقولة فقط ، أما النصف الآخر ، فقد أهملته عن عمد ، أما النصف الثانى من هذه المقولة الفريدة فهى أن العرب لم يكن لديهم بالفعل ما يجب عمله فى التو ، ذلك لان اللبنانيين، خاصة الصفوة الحاكمة ، لم تكن لتقبل اى تدخل عربى ، لمنع الاسرائيليين من الوصول الى بيروت ، وان الصفوة اللبنانية الحاكمة قد سهلت طريق دخول الاسرائيليين للأراضى اللبنانية ، وأن الصفوة اللبنانية الحاكمة ، هى التى اشتركت مع الاسرائيليين والامريكيين، فيما بعد ، فى ترتيب رحيل الفلسطينيين الغرباء من بيروت وغيرها ...

لم يتدخل العرب ، لان اللبنانيين ، لم يكونوا على استعداد لتقبل أى تدخل عربى فى شئونهم ، كان كميل شمعون منذ عام ١٩٥٢ ، يقول أن اى تدخل عربى هو ازعاج للبنان ، وشعب لبنان ، ولم يكن كميل شمعون الذى طالب عام ١٩٥٨ بالتدخل العسكرى الامريكى لحمايته الشخصية ، لم يكن شمعون وحده هو الذى يؤمن بالازعاج العربى ، انما كان هناك الصفوة المختارة من داخل طائفة الموارنة ، والتى سيطرت عليها فيما بعد عائلة الجميل بما فيهم كميل شمعون نفسه ...

كانت محاولة ابعاد لبنان عن دائرته العربية ، هى الثمن الذى جعل لبنان يفقد استقلاله ، فى عام ١٩٨٢

بعد احتـلال جيش اسرائيل لاراضيه ، كانت الطائفية وراء عودة لبنان الى الاحتلال الاجنبي ، لقد استلمت الطائفية حكم لبنان الـكبير المستقل عام ١٩٤٣ ، وبعد اربعين عاما ، من حكم الطوائف ، فقد لبنان استقلاله ، وقادته الطائفية الى الحرب الاهلية ...

***

عندما تم توزيع الفلسطينيين على الدول العربيـة ، بعد اعلان دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، كانت لبنان كمـا بقيـة الدول العربيـة استقبلت عددا من اللاجئين الفلسطينيين ، ولقد تم استيعاب الفلسطينيين فى كل الدول العربية والاجنبية التى سافروا اليها ، الا لبنان ، فقد تم اعتبارهم منذ وصولهم ، كغرباء ، ثم تم تصنيفهم فيمـا بعـد ، كمسلمين ، مع أن اللاجئين الفلسطينيين كانوا من المسلمين والمسيحيين معـا ؛ غير أن الموارنة اعتبروهم جميعا من المسـلمين ، لان هذا التصنيف سيكون مفيدا لهم فيما بعد ، وسيكون سببا أيضـا لاضطهاد الفلسطينيين وتعرضهم للمـذابح ، ثم للطـرد النهائى من لبنان بعد غزو لبنان عام ١٩٨٢ .

قالوا ان الفلسطينيين فى لبنان ، يمثلون قوة اضافية لصالح المسلمين اللبنانيين ، وبالتالى فان تركيبة الحكم الطائفى ، سوف تميل لغير صـالح الموارنة وبالتـالى يجب تحييد هذه القوة الغريبة ، ثم التعـامل معهـا كقوة أجنبية ، ثم العمل فى النهاية على طردها .. !!

ولم يكن الفلسطينيون فى لبنان ، عرضة لاضـطهاد الموارنة فقط ، ولكنهم كانوا عرضة للاضطهاد من جانب المسلمين أيضا ، وسوف نجد أن رئيس وزراء لبنان ،

السيد شفيق الوزان ، وهو مسلم سنى ، هو الذى كان يمثل النظام اللبنانى ، فى عملية اخراج ياسر عرفات ومنظمة تحرير فلسطين من لبنان ، عقب احتلال بيروت .. كما ان السيد وليد جنبلاط زعيم الدروز أخرجهم من منطقة جبال الشوف بعد الغزو الاسرائيلى بعام واحد ، ولم يكن موقف الفلسطينيين مع المسلمين الشيعة بافضل حالا ، لقد وقع الفلسطينيون فى لبنان ، فى مصيدة الطائفية ، وكانوا وقودا لها ، ثم جرى ذبحهم فى النهاية ، فى تل الزعتر ، ثم معارك بيروت ، ثم فى مخيمات صابرا ، وشاتيلا ، كما أن معتقل أنصار الاسرائيلى فى جنوب لبنان ، ساق الى داخله ٤٠٠٠ مقاتل فلسطينى ، وما تبقى من الفلسطينيين فى لبنان محاصرون اما من جانب حكومة الرئيس أمين الجميل ، او ميلشيات الكتائب ، أو القوات السورية ، أو القوات الاسرائيلية ، ومن يفلت من كل هذه القيود ، عليه أن يواجه مدافع الاسطول السادس الامريكى ، على شواطىء لبنان ، او مدافع القوة الرباعية المتعددة الجنسية ..

واصبح الفلسطينيون ، شركاء للشعب اللبنانى ، لكن فى المحنة فقط ، وما زال ملوك الطوائف ، فوق عزوشهم ، حتى ولو كانت هذه العروش ، تظل مرفوعة ، فوق حراب اجنبية ...

***

لقد اظهر الاحتلال الاسرائيلى ، لاراضى لبنان ، هذا الخلل القاتل فى البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فى التركيبة اللبنانية ، التى كانوا دائما

يقولون انها معجزة الزمان ، الغير قابلة للتفسير ، لانها احدى منجزات السماء ، غير أن الغزو الاسرائيلى أسقط هذه الدعاوى جميعا ، وسقطت معها لبنان ، ولان لبنان جزء من العالم العربى ، فقد كان مهمـا تعـريف الرأى العام العربى ، بالطائفية فى لبنان ، جذورها ، ومنابعها ، فكرها ، ورموزها ، ارتباطاتها ، ومطامعها ، نظرتها الى لبنان ، كدولة وشعب ، كل ذلك ، فى محاولة للتوصل الى فهم عملية الغزو العســـكرى الاسرائيلى للبنان ، وما ترتب على هـذا الغزو ، وما قد يترتب عليه ، من أحداث ، لن تكون لبنان وحدها ، هى الخاسرة الوحيدة فيه ، ولكن العالم العربى كله ، الذى هزته الفاجعة من الاعماق ، وبدأ يسأل ، عن الاسباب . .

ان الحديث عن الطوائف الاربع الكبرى فى لبنان ، اصبح ضرورة ، كمـا ان الحديث عن الفلسطينيين فى لبنان ، لا يقل أهمية . خاصة اذا حاولنا التعرف على مسار الحرب الاسرائيلية التى وصلت أراضى لبنان ، منذ يونيو ١٩٨٢ ، وما زالت تحتل أراضيها حتى الآن . . .

لذلك كان ضروريا ، أن يكون الحديث عن الطوائف اللبنانية ، هو هدف اصدار هذا الكتاب ، بطريقة وحيدة لتفسير مسار الحرب الاسرائيلية ، وتداعياتها المحليـة والاقليمية والدولية . . ومادام ملف الحرب الاسرائيلية فى لبنان ، مازال مفتوحا ، فان هذا الكتاب لن يكون أكثر من ملف مفتوح ، هو الآخر ، لما قد يستجد فوق لبنان ، والمنطقة بكاملها من أحداث . .

الوفاق اللبنانى

عنـدما قـامت اسرائيل فى أوائل سـبتمبر ١٩٨٣ بانسحاب جزئى مفاجىء من منطقة الشوف فى جبل لبنان ، بدأت الحرب الأهلية على الفور بين ميلشيات حزب الـكتائب المـارونى وبين ميلشيات الدروز ، ثم اتسع نطاق الحـرب لتشمل كل الاطراف اللبنانية ، وتدخلت الدول الغربية بقيـادة الولايات المتحدة الامريكية ، ليس من أجل انقاذ أهل لبنـان من تداعيات الحرب ، ولكن تدخلها أسهم بشكل مبـاشر ، فى تعميق الصراع الطائفى ، وانهيـار كل أمل فى الحديث عن السلام ، وأصبح الاسطول السـادس الامريكى على الشـواطىء اللبنانية ، رمزا للقوة والبؤس فى وقت واحد ، لتغطية هذا العجز ، اتسع نطاق اتهام اللبنانيين بأنهم يشكلون شـعبا يكره فيه كل شخص الشخص الآخر ، وان العداء على المستوى الفردى ، أو الطائفى ، أو الجماعى ، فى لبنان ، يعد بمثابة رياضة قومية ، محببة للجميع ، وتطوع خبير أمريكى فى شئون لبنان ، ليقول امام كاميرات احدى تليفزيونات عاصمة عربية عريقة

بأن الاعـداء الحقيقيين لشعب لبنان ، هم اللبنانيون أنفسهم .. !!

***

من داخـــل هـذه الدراما المحزنة ، طرحت فرنسا فكرة عقد مؤتمر مائدة مستديرة ، تضم كل الفرقاء ، فى محاولة لتحقيق نوع من الوفاق السياسى ، ينقـذ مصير لبنان ، اقترحت فرنســا عقد المؤتمر على ظهر بارجة فرنسية ، ويمكن وقوفها فى عرض البحر الابيض المتوسط ، قبالة الشواطىء اللبنانية ، بعيدا عن القصف المدفعى المتبادل للقوات المتصارعة .

لقد وصل الحال بلبنان ، خلال شهر سبتمبر ، الى أنه لم يعد هناك فوق أرضه ، مكان يمكن ترشـيحه باطمئنان ليكون مقرا يستضيف الزعمـاء اللبنانيين ، للبحث فى شئون وطنهم ، وانقاذه من صراعاته الداخلية وما يواكبها من أطماع أجنبية ...

ان أحدا من زعماء لبنان ، لم يعد آمنا على نفسه أو بيته فى ظل هذه الظروف الكئيبة ، ابتداء من القصر الجمهورى الذى يمثل الشرعية السياسية فى البلاد ، الى جانب كل القيادات الرئيسية للأحزاب الكبرى فضلا عن كل البيوت الخاصة لزعماء لبنان ، كل هذه الاماكن تعرضت للقصف ، أو المحاصرة ، أو المداهمة ، لم يعـد هناك من يستطيع السير فى شوارع بيروت أو خارجها من زعماء لبنان ، دون حراسة مشددة ، وعربات ركوب مصفحة ، كان الاقتراح الفرنسى رغم غرابته ، حـول اجتماع مقترح فى عرض البحر ، هو أكثر الاقتراحات استجابة لواقع الحال اللبنانى ، غير أن الاقتراح الفرنسى

ثم رفضه على الفور ، لانه رغم كل ما يقال عن ضرورة البحث عن صيغة ما لنوع من الوفاق الوطنى ، فان أحدا من داخل لبنان ، لم يعد قادرا على التوصل الى مثل هذا الهدف ، يقولون ان الوقت أصبح متأخرا بما فيه الكفاية ، وحواجز الكراهية والدم تستطيع اعاقة أى أمل يمكن العثور عليه من تحت الانقاض .

ربما كان هذا الرأى واقعيا الى حد ما ، لم يعد تورط كل الاطراف يسمح بتنازلات يتفق عليها الجميع ، لتكون اضافة لصالح الدولة اللبنانية ، تتقاسمها الآن الحرب الاهلية ، وما يعكسه مسارها من حقائق جغرافية ، تظهر فى اشكال مختلفة للتقسيم الواقعى على الارض .

الذين يراهنون على الحرب الاهلية باعتبارها الخيار الوحيد داخل لبنان ، يدركون دون شك صعوبة الوقوف فوق كل هذا الركام ، وتخطى هواجسه ، والبحث عن خلاص ، غير ان أحدا لا يريد أن يقول انه لا يوجد زعيم واحد داخل لبنان ، سواء داخل الشرعية أو خارجها ، يستطيع القول بخروجه فائزا من دائرة العنف ، بالعكس أصابت الحرب الجميع بجراح بالغة ، لا أحد يستطيع أن يزعم لنفسه بتحقيق أى رصيد لصالحه الشخصى ، أو لصالح حزبه ، أو عشيرته، أو انتمائه الطائفى ، لا تستطيع ان تستثنى أحدا ، هذا الوهن البالغ الذى اصاب كل الاطراف الوطنية فى لبنان، ربما يكون هو المسئول الاول عن فشل كل محاولات احتواء الحرب الاهلية ، والوصول الى صيغة مقبولة للانقاذ الوطنى ، والمصالحة القومية .

ان حزب الكتائب ، فى أفضل حالاته يعانى انهيارات

متوالية ، لا أحد يستطيع أيضا التوصل بسهولة الى نوع من التقدير فيما اذا كان هذا الحـــزب بميليشياته يمثل اضافة حقيقية للرئيس أمين الجميــل ، وهو كتـــائبى أصلا ، أم أن الحزب أصبح عبئا على رئيس جمهورية لبنان ..

ان القصر الجمهـــورى يضرب بالمدافع ، على فترات متقاربة ، وبصفة دورية ، وغالبا ما يتصرف حزب الكتائب بطريقة تربك كافة مقاصد رئيس الجمهورية ، تـكفى استضافة وزير دفـاع اسرائيل فى بيروت من جانب زعماء حزب الكتائب ، لتكون هناك مشكلة شائكة تنتظـر رئيس الجمهورية ، وتوشك أن تسقط الوزارة ، ويضطر رئيس الجمهورية بعدها الى الاعتذار ، ان حزب الكتائب بسلوكياته يمكن وضـعه فى الصف المعـارض لسياسة رئيس الجمهورية ، وعندما طالب الرئيس الجميـــل بالوفاق والتمهيد له بمؤتمرات تحت رعايته ، تضم كل الاطراف المعنية ، كان الصــــوت الاعلى المناهض لهذا الاتجاه ، يأتى للأسف من جانب الشيخ بيـار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، ووالد رئيس الجمهورية ، كان الرئيس يقول بالوفاق ، بينما كان الشيخ بيـار يرحب بالحرب حتى النهاية .

هذا التناقض الظـــاهر بين قيادات حزب الـكتائب اليمينية ، وبين القصر الجمهورى ، الذى يسكنه زعيم كتائبى بارز ، يكشف مدى افتقـــار الحزب الى نظرة موضوعية ومستقبلية للوضع اللبنانى بتداعياته الخطـيرة القادمة ، وبالتالى تجعل حزب الكتائب فى الواقع غير مؤهل لادارة حرب أهليـــة أو ادارة حوار للمصالحة

الوطنية ، ان العناصر المعتدلة والشابة ، داخـل حزب الكتائب ، والتى يقـال انها تميل الى مساندة وتأييد الرئيس الجميل ، باعتباره أولا رئيسا لكل لبنان ، هـذه العناصر وهى كثيرة ، ربما يكون أمامها مهمة تاريخية يجب انجازها ، تتلخص فى امكانية انقاذ الحزب من هيمنة الانعزاليين والمتطـرفين ، واخراج الحزب من دائرة التصادم مع الرئيس . ان مثل هذا الاتجـاه حيوى ومطلوب ، غير أنه للاسف غير واضح ، بل وغير موجود، والشيوخ هم الذين يسيطرون على مصير الـكتائب ، وكما هو واضح أيضا ، فان الكتائب هى التى تسيطر على الرئيس ...

ان ميليشيات حزب الكتائب ، التى يسيطر عليهـا فادى أفرام ، رغم تسليحها الاسرائيلى ، لم تحقق انجازا يذكر ، بالعكس ، كل ما يحققه الجيش اللبنانى ، يتم رصده حاليا لحساب ميليشيات الكتائب ، وهكذا أصبح المكتب السياسى لحزب الكتائب عبئا على رئيس الجمهورية، كما أصبحت ميليشيات الكتائب عبئا على جيش لبنان ، وهو القوة الوحيدة المرشـحة نفرض الهيبة وبسط الشرعية على كل أجزاء لبنان .

كذلك فان كافة سـلوكيات حزب الـكتائب ، والتى تعتبر فى معظمها غير مقبولة من جانب القـوى اللبنانية الاخرى ، تمثل نوعا من العبء الاضافى الذى يجب على الرئيس امين الجميل أن يتحمله دون أن يـكون طـرفا فيه ، أو موافقا عليه ، أو ربما لا يعرف عنه شيئا ، ان زعيما آخر مثل وليد جنبلاط يشكو دائما من سيطرة

حزب الكتائب متفردا على الحكم ، غير أنه يحمل الرئيس امين الجميل شخصيا ، مسئولية ذلك ، وربما كان ذلك واحدا من أخطر نقاط التصـــادم التى تعوق التفاهم بينهما .

***

ان وليد جنبلاط ، رغم كونه زعيما وممثلا لطائفة الدروز الاقوياء ، أكثر من نصف مليون نسمة ، الى جانب تمثيله لجبهة الخلاص الوطنى التى تضم زعماء آخرين ، من المسلمين والمسيحيين ، يعانى أيضا من تدهور مماثل فلقد كان هدفا منذ بضعة شهور لمحاولة اغتيال ، كما تم ضرب بيته فى بيروت اكثر من مرة ، ويقال ان حصارا كثيفا يحيط حاليا ببيته ، كذلك فان وليد جنبلاط لا يعيش حاليا فى بيته فى بيروت ، كما أنه لا يسكن بين مقاتليه فى جبال الشوف ، وهو غير موجود فى لبنان كلها ، فقد فضل وليد جنبلاط منذ شهور الاستماع الى نصيحة أصدقاء ، طلبت منه العيش خارج لبنان ، وهكذا يعيش الزعيم الدرزى ، وقائد جبهة الخلاص الوطنى ، بعيدا عن بلده ، فى منفاه الاختيارى ، أحيانا فى دمشق ، أو فى عمان ، الى جانب زيارات عمل فى السعودية ، غير أنه يفضل البقاء فى باريس ، حيث يتمكن من ممارسة نشاطه ، وقد قابله المبعوث الامريكى ماكفرلين ، فى باريس ، لانه لم يكن ممكنا اجتماع الوسيط الامريكى بأحد زعماء لبنان الاقوياء ، داخل لبنان نفسها .

ان ميليشيات الدروز ، مطالبة بتسليم مواقعها داخل منطقة جبال الشوف ، لقـــوات من الجيش اللبنانى ،

لتكون البديل الشرعى للانسحاب المفاجىء لقوات الاحتلال الاسرائيليه ، اوائل سبتمبر ، من المنطقــه تاركة كافه العناصر المتحاربه للسيطره على منطقة الشوف ، ويشكو مسئولون حكوميون فى بيروت لان أسرائيل تعمـــدت الاسراع بالانسحاب ، ويقولون انه لو تأخر الانسحاب ٤٨ ساعة فقط لامكن تلافى مصاعب جمة ، ولم يكن ذلك حقيقيا ..

وهكذا ، رأينا فى لبنان ، وربما لاول مرة فى تاريخ الاستعمار القديم والحديث ، كيف يكون خروج قــوات الاحتلال ، نقمة وليس نعمة بالنسبة لشعب محتل ، يحلم بالخلاص من قوات أجنبية تحتل أرض بلاده ، رأينا ما هو أيضا أكثر معاكسة لحقائق الحياة ، عندما كانت هناك مطالبات لبنانية ودولية ، ترجو اسرائيل التريث بعض الوقت فى سحب قواتها المحتلة لجبل لبنان .

لقد انســحب الجيش الاسرائيلى من الشوف ، عقب عمليات عسكرية قادها الجيش اللبنانى داخل بيروت ، ضد ميليشيات الشيعة التى يقودها نبيه برى ، وبرغم الدمار الكبير فقــد تمكن ١٠ آلاف جندى خلال ثلاثة أيام ، من اعادةالسيطرة على كل بيروت ، مما جعــل احتمال نجاح الجيش اللبنانى فى السيطرة على جبال الشوف أمرا واردا ، غير أنه لم يحدث ..

كان الامل بالطبـــع أن يتم دخول الجيش منطقـــة الشوف ، باتفاق مسبق مع الشرعية ، ومع زعمـــــاء الدروز ، لكن الانسحاب الاسرائيلى المفــــاجىء عجل بالمواجهة العسكرية لاستنزاف كل الاطراف .

ان وليد جنبلاط لا يرفض مبـــدأ دخول الجيش فى

مناطق يعتبرها تاريخيا أرض آبائه وأجداده ، كان يطالب اولا بالاتفاق مع السلطة الشرعية ، ان أحدا لم يمكن رئيس الجمهورية ، او وليد جنبلاط ، من الجلوس سويا للبحث في صيغة مثل هذا الاتفاق ، أن معارك الشوف ستكون دون شك عائقا جديدا أكثر صعوبة في طريق الدعوة الى الوفاق .

وكما ان ميلشيات الكتائب تحمل أسلحة اسرائيلية ، تحمل ميليشيات الدروز بعض الاسلحة الاسرائيلية ، تركها الاسرائيليون عن عمد لكى تقع فى أيدى الدروز ، وللدروز أسلحتهم التى لم تحاول اسرائيل انتزاعها من أيديهم بعد غزو لبنان ، وتزعم حكومة اسرائيل طوال الشهور الاربعة الاخيرة ، انها تقع تحت ضغط جماعة الدروز الاقوياء داخل اسرائيل ، لصالح اخوانهم الدروز فى جبال الشوف فى لبنان ، وان دروز اسرائيل لا يريدون من الحكومة الاسرائيلية دعم ميليشيات الكتائب لتصفية الدروز وطردهم من قراهم وزراعاتهم ، كما سربت اسرائيل أنباء واسعة عن محاولات هروب واحتجاج واعتقال بين جنود وضباط احتياط من الدروز فى جيش اسرائيل ، بسبب عدم رغبتهم فى مقاتلة الدروز أو تركهم فريسة للكتائب ، ثم تطوعت بعض الوكالات البريطانية والامريكية ، لتقول بمشاركة بعض الدروز الذين هربوا من جيش اسرائيل ، فى القتال الذى دار منذ ثلاثة أسابيع ، والذى أصابت خلاله مدفعية الدروز مطار بيروت وعطلته عن العمل .

سوف نكتشف فيما بعد ، أنه طوال المعارك الطائفية ، واتساع نطاق الحرب الاهلية ، سوف نكتشف

ان اسرائيل ، كانت هنـاك بالسلاح ، والدعايات ، وان اسرائيل لا تريد الا أمرا واحدا فقط ، هو اسـتمرار نزيف الحرب الاهلية اللبنانية ، ثم لا يهم بعد ذلك من هو الفائز ، ومن هو الذى انهزم السبب بسيط تعـرفه اسرائيل ، وهو أنه فى الحروب الاهلية عادة ، لا يوجد من هو الذى يفوز ، يوجد فقط شعب مهزوم ، سوف نكتشف أيضـا أن اسرائيل تعطى للـكتائب يوما ، ثم تعطى للدروز يوما آخر ، تظهر التعاطف بالتساوى بين كل الفرقاء ، ليستمر الدمار أيضا بالتساوى ، غير أن الدروز بالفعـل قد حصـلوا على عطف اسرائيل ، أما الكتائب فهم الذين فازوا طوال الوقت بالدعم العسكرى والسياسى من جانب اسرائيل ...

هـكذا نجد انفسنا عند نقطة البداية ، لا أحـد داخل لبنان يمكنه الحديث عن جماعة معينة لديهـا من القوة ما يمكنها من فرض كلمتها على الساحة اللبنانية، فيمليشيات الـكتائب والدروز ، يشـلان أكبر قوتين عسكريتين محليا فى لبنان ، ومع ذلك لا تستطيع احداهما فرض السيطرة ، أو حتى اقرار الهدوء ، داخل المناطق التى تسيطر عليها ، والدروز تؤيدهم سوريا ولكن الى أى مدى ، ان الاجابة على مثل هذا السؤال غير مضمونة، غير أنها تحدد مصير الدروز فى مواجهة المجهول ..

بالنسبة لمليشـيات الـكتائب ، لديهم الدعم الكافى من جانب أطراف خارجية ، والى أبعد الحـدود ، لـكن المشكلة الحقيقية تكمن فى أن أى انتصار عسكرى محتمل احرازه من جانب الكتائبيين سوف يتم اعتبـاره فورا من صـنع الجيش اللبنانى الذى يقـال علنـا انه أصبح

صنيعة حزب الكتائب ، ولم يعد جيش كل لبنان .. ان الخلاف القـــادم سوف يبدأ بين الجيش اللبنـــانى وبين ميليشيات الكتائب اذا فـــكر هذا الجيش يوما فى البحث عن الحيـــاد أو الهيبة ، أو أحد مظاهر القــوة ، ان ميليشيات الكتائب تعتقد ان وجود من يمثلها فى قصر بعيد ، يعتبر فرصة تاريخيـــة لا تعـــوض ، فى استثمار كل مقدرات لبنان لصالحهم الشخصى وتوظف الكتائب حاليا الجيش الوطنى باعتباره جيشا كتائبيـــا حتى فقد اعتباره ، ويمثل الآن مشكلة تواجـه بقيـــة الطوائف اللبنانية ..

يقف جيش لبنـــان حاليـــا ، ٢٧ ألف جنـــدى ، فى المكان الاكثر صعوبة ، لقد اضطر الى استخدام ١٠ آلاف من رجاله لاعادة الهدوء الى بيروت ، وقد طولب بارسال عشرة آلاف آخرين من رجاله للسيطرة على جبـــال الشوف بعد الانســحاب الاسرائيلى ، فمــاذا يتبقى من جيش لبنان ، ان الجيش لم يستكمل بناء قوته بعد ، لقد تعطل الجيش أو تفكك طوال الحرب الاهلية منـــذ عام ١٩٧٥ ، وعندما وقع الغزو الاسرائيلى قبل عامين كانت لبنان تعيش فى الحقيقة دون جيش وطنى ، وبعد الانسحاب الاسرائيلى من بيروت ، وطلبا لمساعدة الشرعية اللبنانية على بناء قوتها وفرض سيطرتها ، بدأ التفكير فى بناء جيش وطنى قوى ، وبدأت أمريكا تساهم فى تدريب كوادر الجيش ، وأرسلت أســـلحة صغيرة ، ومدافع بازوكا ، ودبابات أم ٤٨ ، وبعض العربات المصفحة لمساعدة الجيش الحديث التكوين على القيـــام بدوره ، غير ان الظروف لم تسمح لهذا الجيش قط بأن يـــكون

قادرا على أداء واجبه ،وفى معـــارك بيروت الاخيرة ، اضطرت المدفعية الامريكية فى عرض البحر الى المشاركة فى اخماد المقاومة التى كان يقودها ميليشيات الشيعة فى بيروت الغربية ، وبالتالى اذا تمكنت قوات الجيش من دخول منطقة الشوف ، فسوف يقال على الفور بأن ذلك قد تم بمساعدة مباشرة من جانب القوات الامريكية التى أظهرت ميلا أكثر منذ البداية فى التورط المباشر فى القتال الدائر على أرض لبنان ، عندئذ سوف يقال بأن الولايات المتحدة الامريكية قد تورطت بقواتها فى حرب طائفية فى الشرق الاوسط ، بما يحمله ذلك وما يترتب عليـــه من نتائج ، سيقال ايضا بأن الكتائب ستحصل على المكافأة ؛ فأى هزيمة للدروز ستكون انتصارا للكتائب ، ووليـــد جنبلاط يشكو من وجود ضابط مارونى على رأس الجيش اللبنانى ، ولكن رئيس الاركان درزى غير أن جنبلاط يقول بأن رئيس الاركان فى جيش لبنان مقيد الصلاحيات ، ولا يعمل شيئا .. وقد انتهى به الحال الى تقديم استقالته بالفعل .. والجيش اللبنانى بوضعه الحالى يعكس واقع لبنان الممزق ، فالى جانب ضعف تسليحه ، وقلة كوادره والبداية المتأخرة لاعادة تأسيسه ، فان نظام تكوينه مــن الداخل سيظل دائما محل جدل من جانب خصوم حزب الكتائب ، فالى جانب ٦٠٪ من ضباط الجيش المارونيين يوجد ٦٠٪ من الجنود المسلمين يشكلون قوام هذا الجيش لقد كان من بين شروط جنبلاط لاحراز نوع من الوفاق الوطنى ، اعادة بناء الجيش على أساس غير طائفى ، غير ان الظروف الراهنة لا تسمح ببناء اى جيش وعلى اى أساس ممكن ..

وبعد معارك بيروت ، لم يتمكن الجيش اللبنانى من احراز أى تقـــدم ، وبمشاركته الفعلية مع ميليشيات الكتائب فى حرب الجبل ضد الدروز ، لم يحرز شيئا يذكر ، وعندما كان التنسيق عمليا وظاهرا بين الجيش والكتائب ، فقد الجيش مبرر وجوده نفسه ، لانه كان من الممكن قيام القوات الامريكية سواء داخل لبنان ، أو على طول الشواطىء اللبنانية بما هو مطلوب ، وابقـاء الجيش اللبنانى بعيدا عن التورطات الطائفية لان دورا هاما ربما كان ينتظره عندما يتم اقرار الشرعية والهدوء فى البلاد ، غير أن شيئا من ذلك لم يتحقق ، ووجـد الاسطول السادس الامريكى نفسه متورطا فى القتال ، لصالح الكتائب تحت شعار حماية الشرعية فى البلاد ، وسوف نجد تشجيعا لفرنسا للقيام بدور ايجـابى فى الحرب ، وقام الاسطول البريطانى باستعراض طيب ، بينما أصبحت القاعدة العسكرية البريطانية فى قبرص ، مركزا هاما للعمليات التى يقودها الامريكيون ، لاخماد الثورة فى لبنان ، وعندما اكتشف الحلفاء الغربيون أنهم بتأييدهم العسكرى والســـياسى لما وصفوه بالشرعية اللبنانية ، فضلا عن تحطيم الجيش اللبنانى الذى لم يكن قد بدأ بعد شهور فطامه ، عندما تم اكتشاف الاحباط الغربى من كل جانب ، ارتفعت الدعوة الى ضرورة وقف اطلاق النار ، ومباركة الدعوة لمصالحة وطنية ، وظهرت جريدة امريكية كبرى لتعلن عن بالغ أسفها ، لان الشعب اللبنانى لم يـكن فى حاجة الى ذوى الوجوه الحمر من ضباط الاسطول السادس الامريـكى ، ولـكن الشعب

اللبناني -، كان فى الحقيقة شديد الحاجة الى جماعة كبيرة من الاطباء النفسانيين .. "!

***

تبقى طائفة الشيعة ، وربما كانت أكبر القوى الموجودة حاليا فى لبنان ، ويزيد عددهم عن ضعف عدد الدروز ، وقد هاجر معظمهم حيث كانوا يعيشون فى جنوب لبنان ، بعد الغزو الاسرائيلى ، وعاشوا فى المناطق الفقيرة فى بيروت وحولها ، وقد تمكن امامهم السابق موسى الصدر ، من ابراز صوت الشيعة كقوة سياسية معترف بها داخل التركيبة السياسية التى تسيطر على الشارع اللبنانى ، كما أن لهم حصة فى المراكز العليا فى الحكومة ، ورئيس البرلمان يجب أن يكون شيعيا ، غير انهم مع الامام موسى الصدر اخذوا يتطلعون الى حصة اكبر فى الحكم ، وتحدثوا طويلا عن المظالم التى يتعرضون لها ، تولى نبيه برى ، وهو محام شيعى ، مهمة تشكيل ميليشيا عسكرية تدافع عن حقوق الشيعة ، وقد تعرضت هذه الميليشيا لتجربة قاسية ، بعد اشتباكها مع قوات الجيش ، وتدخل مدافع البحرية الامريكية ، ولم تصمد فى المعركة ، غير انها خرجت بالتأكيد برغبة أكبر فى التحالف بشكل جدى مع الميليشيات الاخرى المعارضة للحكومة وخاصة ميلشيات الدروز .. ربما تحاول أيضا الحصول على مزيد من الدعم من جانب السوريين ..

هناك أيضا جماعات المسلمين السنة .. اين يقفون فى ساحة المعارك ، الفريق الاكبر من المسلمين السنة ، ويمثلهم الشيخ صائب سلام يقفون الى جانب رئيس الجمهورية ، يمنحونه التأييد لمساعدته على القيام بدوره

كرئيس شرعي للبلاد ، وقد هاجم جنبلاط بعنف هـذا الاتجاه ، واتهمه بالوصولية ، غير أن الفريق الثانى من أهل السنة يمثلهم السيد رشيد كرامى ، هؤلاء يؤيدون الدروز فى موقفهم ، ويشترك كرامى مع جنبـلاط فى جبهة الخلاص الوطنى ، ويقاومون الكتائب ويرفضـون اتفاقية الصلح مع اسرائيل ، ويطالبون بتعاون أوثق مع السوريين ، وان كان الجميع يتفقون على ضرورة خروج كل القوات الاجنبية من لبنان .

***

لقد تم اضعاف الجميع داخل لبنان بما فيه الكفاية ، لا تستطيع قوة محلية بمفردها أن تفرض سلطتها على الاخرى ، الشرعية أيضـا تناضل لكى تتأكد شرعيتها داخل بيروت أولا ، قبل أن تنتشر على بقيـة الاراضى ، الجماعات منقسمة حتى من داخلها ، فالكتائب يوجد بداخلها تياران احدهمـا يؤيد الرئيس فى سـياساته الوطنية ، بينما يناضل الفريق الآخر لاحراز مكاسب ذاتية حتى لو كان ذلك على حساب الحكم والارض ، والمارون بصفة عامة ليسوا كلهم شمعون أو بيار الجميل، يوجد أيضـا سليمان فرنجيـة وريمون اده وهم على النقيض ..

الدروز أيضا منقسمون ، فجنبلاط ليس فى النهـاية كل شيء ، هناك جماعة مجيد ارسلان الذى يراهنون على اعتدالهم ، ومقدار فهمهم للأمور ، فى السنة فريقان أيضا احدهما يؤيد والآخر يعـارض ، أما فى داخل الشيعة فانها تستمد شهرتها التاريخية من قدرتها الفائقة على التوالد بحيث يمكنها افراز فرقة جديدة كل عامين .. !!

ما هو المخرج .. ؟!

ان الحديث عن التقسيم ، رغم كونه الاعلى حاليا في كل مكان ، هو حديث غير واقعي ، وغير ممكن ، ولبنان صغير جدا ، أو كما يقــال لبنان أصغر من أن يجرى تقسيمه ، علينا أن نســـــتبعد هذا الاحتمال على الاقل حاليا ، ، فالجميع متفقون حتى داخــل لبنان على أمر واحد هو عدم التقسيم ، وان كانوا يعملون من أجله ، غير أنهم غير قادرين على تنفيذه .

كذلك يعتبر الحديث عن تغلب الشرعية بمفردها على كل الصعوبات الداخلية ، وانهاء الحرب الاهلية ، واجبار الاسرائيليين على الانسحاب النهــــائى ، ثم التطلع الى السوريين للقيام باجراء مماثل ، كل هذه الآراء تظل فى مرتبة الامانى غير القابلة للتنفيذ ، دون معونة خارجية تربد بالفعل الوصول الى هذه الاهداف نفسها ، وليس الى أهداف أخرى ، وهو امر ليس فى متناول اليد هذه الايام ..

هل تستطيع قوة معينة داخل لبنان فرض السيطرة الشاملة ، الكتائب مثلا ، واقع الحال لا يشير الى تفوق حزب ما أو طائفة ما ، لــكى تفرض ارادتهــا حتى لو اضطرت الى طلب معونات خارجية ..

حتى القوة المتعددة الجنسية ، تشارك فيها أمريكا وانجلترا وفرنسا ، وايطاليــا حضرت لمساندة الشرعية والابقاء على الهيكل الاساسى للدولة ، هذه القوة تعانى حاليا من ضعف مزدوج ، لم تعد تتمتع بالشعبية داخل لبنان بعد مشاركة القوات الامريكية بشكل مباشر فى الحرب ، كذلك لم تعد هذه القوة مثار ارتياح داخل الدول التى حضرت منها الى لبنان ، توجد فى أمريكا وبريطانيا

وفرنسا ، وايطاليا مطالبات حالية بعودة هذه القوات ، لتعرضها للمخاطرة من ناحية ، ولابعاد تورط الدول الكبرى من ناحية أخرى فى الحرب الاهلية اللبنانية،والتى يفضلون تسميتها حاليا بحرب الطوائف ، وتناضل حكومات الدول المشتركة فى هذه القوة ، لكى تبقى على قواتهـا داخل لبنان ، ويبدو انها مصممة على ذلك مع توسيع دائرة عملها ..

وقد نجح الرئيس ريجان بالفعـل فى الحصول على موافقة الكونجرس باستمرار بقاء القـوات الامريكية فى لبنان طوال الشهور الثمانية عشر القادمة ، واصبح تورط القوات الامريكية فى لبنان ، معترفا به من جانب الادارة الامريكية ، وزعماء الكونجرس ، ولم يعد هناك ما يقـال كثيرا عن عقدة فيتنام عند الامريكيين .

ان الحرب الاهلية لن تفرز منتصرا واحدا داخـل لبنان ، ستترك الجميع منهزمين وحالة الاعيـاء التى أصابت الجميع ، ربما تسمح بشيء واحد يقبله الجميع ، الصلح والبحث عن صيغة للوفاق الوطنى ، واذا كان الوضع اللبنانى غير مسموح بانفجاره بشكل نهـائى من وجهة النظر الامريكية على الاقل ، مع بداية المرحلة التى تبدأ معها سخونة المعركة لانتخابات الرئاسة الامريكية ، فان الحديث عن الوفاق سيكون هو المسموح به .

وربما يمتد حديث الوفاق ايضا الثمانية عشر شـهرا القادمة ، فالقوات الامريكية سيكون لديها مايكفى لتأمين الوضع اللبنانى الى أن ينتهى الرئيس ريجان من مشاكله مع انتخابات الرئاسة الامريكية القادمة ...

يظل أيضا على الجانب العربى ، قناعة تزيد بلورتهـا

كل يوم ، تشير الى أن الحرب الاهلية اللبنانية ، او باسمها الجديد ، حرب الطوائف ، لا يمكن أن تستمر الى أجل غير مسمى ، فالوضع اللبنانى المتفجر ، لا يعيش فى فراغ ، انما يتحرك داخل محيطه الجغرافى ، انه المحيط العربى حيث لا يوجد البنان محيط غيره ، ما يجرى فى لبنان مرشح للانتشار ، مالم يوضع حد معين للحالة اللبنانية ، فان اللعنة ستكون من نصيب الجميع، وبالتالى ، فانه حتى موعد القمة العربية التى تجتهد السعودية وأطراف أخرى لعقدها فى السعودية ، اذا تحقق هذا الاجماع وهو أمر مشكوك فيه .. فان الاطراف العربية المعنية لن تسمح لبرميل البارود اللبنانى بالانفجار حتى حافته ، المصالحة هى المطروحة ، وقد تم بالفعل تجميع كل الاطراف اللبنانية للجلوس فى أحد فنادق جنيف ، خلال شهر اكتوبر ١٩٨٣ ، وبمساعدة أمريكية ـ سعودية ـ سورية ، وتحت ضغط عربى ودولى ، لكى يحاول الاخوة الاعداء التوصل الى مخرج لمحنتهم ، وقد استمرت اعمال المؤتمر ثلاثة أيام ، وخرج بنتيجة واحدة ، تقول باتفاق الجميع على أن لبنان له وجه عربى .. وطولب امين الجميل بالقيام بجولة دولية لتعديل الاتفاقية مع اسرائيل ، وانفض المؤتمر دون تحديد موعد لجولته القادمة .. !!

لا بأس أن نتعرف على واقع الحال اللبنانى ، مادام هذا الوضع لم يعد ترفا يشغل أهل لبنان وحدهم ، فهو مرشح كما يقال للانتشار ، من واجبنا معرفة كل اطراف اللعبة اللبنانية الخطرة ، التى جرى تعريفها بحرب الطوائف اللبنانية ...

الفصل الاول

الـــــــدروز

المذهب الذى يؤمن به الدروز جاء من مصر فى زمن الحاكم بأمر الله .

ثم تطـوع الامريكيون فى القرن العشرين ليقولوا بعد مصرع كمال جنبلاط أن الدروز قوم من بلاد القوقاز ؛ حضروا الى لبنان فى القرن الثامن عشر .. !

أنقذ الدروز قلعـة الشقيف من أيدى الصـــليبيين وظلت القلعة لاصحابها الى أن دخلها مناحيم بيجن غازيا عام ١٩٨٢ .

● الحـــاكم بأمر الله : ثالث الخلفاء بعد المعز لدين الله ، والعزيز بالله ، ثم المنصور الذى عرفه التاريخ باسم الحـــاكم بأمر الله ، تولى فى الحادى عشر من عمره ، وكان وحيد والديه ، وهو أول خليفة فاطمى ولد فى مصر ، كما انه اول خليفة فاطمى يقتل بمؤامرة تحاك من داخل قصره .. وقد فرحت عامة المصريين بنهاية حياته .

● الجنبلاطية فى الجيش المصرى : وصل ابراهيم باشا لفتح بلاد الشام عام ١٨٣٢ ، فوقف أولاد الشيخ بشير جنبلاط على الحياد تجاه الحملة المصرية التى ارسلها محمد على باشا بقيادة ابنه ابراهيم ، عندما انتصر الجيش المصرى فى العام التالى ، طلب كل من أسماعيل وسعيد ولدى الشيخ بشير جنبلاط الذهاب الى مصر ، رحب محمد على باشـا بهما فى القاهرة ، ودخل سعيد جنبلاط فى خدمة الجيش المصرى برتبة ملازم ثم رقى الى رتبة رائد ، وظل بالجيش الى ان وصل الى رتبة عقيد ، وعندما وصل الاخ الثـالث لهما نعمان جنبلاط الى مصر فيما بعد ، انعم عليه محمد على باشا بوسام رفيع عينه اميرلاى فى الجيش المصرى ..

ارتبط تاريخ لبنان الوسـيط والحـديث ، بقصـة الصراع الدامى بين الدروز والمارون تتخللهـا فترات قصيرة من السلام النسبى ، من ثم هـؤلاء الدروز ، الذى يشغلون العالم الآن بقصة حربهم فى لبنان ؟

ما هى حكاية الدروز كعقيدة كمذهب ، ولمـاذا كان مجتمعهم مجتمعا محاربا ؟

ثم لماذا تقف الآن قوات فرنسـا وانجلترا فى وجـه الدروز ؟ ، وقد كان هؤلاء الدروز أنفسهم محل افتخار طوال القرنين السـابع عشر والثامن عشر ، من جانب فرنسا التى أرجعت نسبهم الى فرسان فرنسا الصليبيين على حين زعمت انجلترا ان الدروز من سلالة ملـكية بريطانية وأنهم أحفـاد الملك الصليبى ريتشارد قلب الاسد ..

ثم لماذا كان الدروز فى لبنان ، أول ضحايا قسمته الطائفية الجديدة .

هل هى نهاية العالم ؟

منذ بداية سبتمبر ١٩٨٣ ، احتلت قضية الدروز فى لبنان ، أولوية مطلقة لدى المهتمين برصد التطـور الدامى للعبة الامم فى ساحة الشرق الاوسط ، أصبح الدروز فجأة ، أهم طائفة فى العالم ، يتعلق بسـلوكها مصير الشرق الاوسط ، ربما أيضا نهاية العالم ، من يتأمل فوهات المدافع الامريكية على ظهر سفن الاسطول السادس فى عرض البحر المتوسط ، وهى توجه قذائفها وصواريخها فى بسالة الى منطقـة جبـال الشوف ،

تنسف قرى الدروز ، اذا اراد أهل الجبل ، الذين هم فى الاصل ، مؤسسو لبنان بشكليه القديم والحديث ، اذا ارادوا الهرب من جحيم القذائف الامريكية ، لا يجدون الا القوات الاسرائيلية ، وقوات سعد حداد فى جنوب لبنان ، اذا أراد الدروز الاتجاه شرقا أو غربا أو شمالا ، وجدوا على الفور ، قوات الكتائب اليمينية ، وقوات الجيش اللبناني بقياداته المارونية الكتائبية ، وقوات المارينز الامريكية ، وقوات بريطانيا العظمى التى أنهت حربا باسلة ضد الارجنتين قبل عام ، وأكدت احتلالها الذى دام قرونا لجزر الفوكلاند ، ثم قوات فرنسا ، دولة الاحتلال التقليدية للبنان ، ثم قوات ايطاليا أيضا ، اذا تطلع الدروز الى السماء ، أملا فى المعجزة ، وجدوا طائرات الحلفاء الغربيين ، ترصد كل تحرك ، تصور كل اتجاه ، تسجل حتى أصوات بكاء الاطفال ، يلوذون بالمجهول هربا من الهول المحيط فى كل اتجاه ...

الدروز وميراث الاجداد القديمة

لم يكن الدروز محل كراهية مطلقة من جانب الدول الغربية قبل قرون طويلة ماضية ، لم تكن فرنسا وانجلترا ، على استعداد للقضاء عليهم أو ابادتهم من فوق جبل لبنان أو سفوحه . العكس هو الصحيح ، كان الفرنسيون طوال القرن السابع عشر يقولون فى كتاباتهم ، كما أشاعوا فى لبنان بصفة خاصة ، ذلك الوقت ، أن الدروز ، وليس غيرهم ، هم من سلالة الجنود الفرنسيين

الذين وصلوا جبل لبنان خلال الحملات الصليبية بقيادة الكونت دوركس ، وقالوا ان دوركس هى النطق العربى لكلمة دروز ..

قالوا أيضا ان الامير الدرزى فخر الدين بن معن ، هو حفيد القائد الصليبى جودفرى ، معروف ان الامير فخر الدين ، هــو مؤسس لبنـان ، هو الذى يتغنى به اللبنانيون باعتبـاره المثل الاعلى ، الذى أسس دولة أضاعها أبناؤه ، يحاولون استعادتها كما كانت ابان عصر فخر الدين ، غير ان كل الظروف داخل لبنان وخارجها ، تقف فى الصف المعاند لكل امانى اللبنانيين .

الدروز والبحث عن الاصول

الامير فخر الدين بن معن ، أعطى اسمه لدولة لبنان ، عرفت لبنان لفترة طويله بالدولة المعنية ، شملت كل اراضى لبنان الحـالية ، ومنطقة جبـل الـكرمل فى فلسطين ، وبعضا من أراضى سوريا ووصل الى انطاكية، وهو الذى استضاف المـارون لاول مرة ، وجعلهم فى رحابه ، وتحت رعايته ، وعندما وجدت فرنسا أنه فى الامكان ، فيما بعد ، أن يكون لهـا مكان فى لبنان ، اشاعوا ان الدروز من سلالة الفرسـان الصليبيين ، وان فخر الدين هو الحفيد المتـاز للسيد جودفرى ، قائد جيوش الصليبيين ، ضحك الدروز بالطبع لانهم سلالة عربية أصيلة قدمت من اليمين الى أراضى لبنـان قبل القرن السادس الميلادى ، عاشت هناك حتى الآن ، كما انها سوف تعيش فى نفس المنطقة الى الابد ...

قال الدروز اذا كان ما يقوله الفرنسيون صحيحا ، فان وجه الصحة فيه انهم بالفعل قد أسروا الالوف من الرجال الفرنسيين والنساء السبايا ، طوال فترات الغزوات الصليبية لبلادهم ، سوف نكتشف أيضا ان دروز لبنان كانوا فرسانا لصلاح الدين الايوبى ، وكان الامير جمال الدين حجى التنوخى هو القائد الدرزى الذى أعطاه صلاح الدين الايوبى مهمة مقاومة الصليبيين على طول الشواطىء اللبنانية .

سوف نكتشف أيضا ان السلطان قطز ، استعان بالامير زين الدين صالح الارسلانى ، ورجاله فى حرب التتار ، وانهم كانوا جميعا مع السلطان الظاهر برقوق فى معركة العرب الحاسمة ضد التتار فى عين جالوت ،

انتهت الحروب الصليبية ، وجاء العصر العثمانى ، ودخلت الدول العربية فى متاهات العثمانيين وظلام عهودهم الى أن مرت قرون كانت الدولة العلية خلالها قد أصبحت مطية لمطامع الدول الكبرى فى أوربا ، كانت لبنان وبقية أراضى الشام ، غنيمة للفرنسيين الذين عادوا ليس كصليبيين مدججين بالسلاح هذه المرة ، عادوا صليبيين فى ثياب الرهبان ، توددوا لاكبر قوة مسيطرة فى لبنان ، قالوا انهم والدروز أولاد عمومة ..!!

فى القرن الثامن عشر ، عندما أصبح للانجليز مصالح كبرى فى المنطقة العربية المشرقية ، حاولوا التودد أيضا الى الدروز كمدخل لموضع قدم فى لبنان ، قالوا فى

القرن الثامن عشر ، نفس ما أشاعه الفرنسيين فى القرن السابع عشر .

أكد الانجليز فى رواياتهم التاريخية الموثقة ، أن دروز جبل لبنان هم فى الاصل من سلالة الفرسان الصليبيين الانجليز ، الذين حضروا الى البلاد ابان فترات الغزو الصليبى ، وأن الدروز ، وليس غيرهم أيضا ، هم أحفاد الملك الانجليزى الذائع الصيت ، ريتشارد قلب الاسد .

هكذا كان الانجليز الذين ينشطون حاليا فى الترويج ضد كل ما هو درزى ، وتقف طائراتهم العسكرية الست جاهزة للانقضاض على الدروز من جزيرة قبرص ، يضع جنودهم في بيروت الاصبع على الزناد « للمشاركة الدولية فى مذبحة للدروز » ، هؤلاء الانجليز أنفسهم . هم الذين أشاعوا أوائل القرن الثامن عشر ، باطمئنان ، أن دروز لبنان ، هم من السلالة الملكية البريطانية !!

الدروز بين العنف والحيلة

مالم يؤخذ بالعنف ، يمكن استدراجه بالحيلة ، هذا ما صنعه الاستعمار الفرنسي ، ثم الانجليزى بالدروز ، غير ان شيئا من هذا أو ذاك لم يحرز نجاحا الدليل كما هو متواجد حاليا ، على الساحة اللبنانية ، يتعرض الدروز هذه الايام لواحدة من أقسى المحن التى واجهت هذه الطائفة طوال تاريخهم المليء بالشجاعة ، الحافل بالمآسي ، يتعرضون لحملات ابادة ، الى جانب حملات كراهية يزيد اتساعها كل يوم .

بدأ الدروز منذ فترة قصيرة فقط . فى ٧ سبتمبر ١٩٨٢ اقامه اول اذاعة محليه ضعيفة الصوت ، عندما استعادوا قرية بحمدون التى استولت عليها ميليشيات الكتائب فى السابق ، بدأ الدروز يقولون شيئا عن حكايتهم وتاريخهم فى لبنان والمنطقة غير أن عملية التشويش الهائلة التى تقوم بها كافة الاطراف الاخرى ، لا تجعل من الصوت الدرزى الحديث الا رجع الصدى ، لا يسمعه أحد ، لا يعرفه احد بينما يستمتع الكتائبيون بخدمات عسكرية وسياسية واعلامية مجانية من جانب الحلفاء الغربيين : بشكل يصعب توقعه من جانب دول كبرى لها مسئوليات دوليه فضلا عن تورطات هائلة فى شئون الشرق الاوسط . تجعله يحجم على الاقل عن ممارسة أدوار انتهى زمانها : مثل تغذية نعرات محلية ، أو عداوات قبلية ، أو حروب طائفية .

كانت بريطانيا فى الماضى تزعم أنها تحمى الاقليات بصفة عامة فى العالم العربى ، كانت روسيا تقول أن المسيحيين الارثوذكس فى حمايتها ، كانت فرنسا تعتبر المارون فى لبنان تحت حمايتها المباشرة ، كانت الشيعة أيضا تجد من يزعم حمايتها بين وقت وآخر ، فى تاريخ المنطقة الملىء بالمآسى .

لم تكن أمريكا قد ظهرت بعد ، كقوة عالمية ، فضلا عن ظهورها كقوة مسيطرة على اتساع العالم .. لم تكن الولايات المتحدة متورطة فى قضايا الطوائف اللبنانية ، لعبة الدول الاوربية الاستعمارية المفضلة طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كانت أمريكا تتمتع برصيد طيب لدى شعوب العالم العربى ، خاصة فى لبنان ، خلال الحرب العالمية عندما قيل للشعب اللبنانى

ان يختار دولة انتداب ، من الغريب أن يختار اللبنانيون ، وعلى رأسهم طائفة الدروز ، اختاروا الولايات المتحدة الامريكية ، كدولة انتداب ، رفضوا فرنسا الأم الرءوم ، رفضوا أيضا بريطانيا صاحبة الرصيد الاستعماري الهائل فى العالم العربي ، فضل الدروز ومعهم بقية شعب لبنان ، فضلوا واشنطن ، متأثرين بالمبادىء التى كانت الولايات المتحدة ، على لسان رئيسها ، قد توسعت فى اطلاقها حول حريات الشعوب .

الموقف الآن .. الاسباب والنتائج

اليوم تقف أساطيل وطائرات الولايات المتحدة ، كبرى دول العالم على الاطلاق ، تقف فى حرب علنية ضد طائفة الدروز فوق جبل لبنان !! يكفى ما تنشره صحف الولايات المتحدة ومعها صحف أوروبا ، وما تقدمه اذاعات هذه الدول ، من قصص يومية مطولة عن مذابح متبادلة بين طائفتى الدروز والموارنة . لكى يقال بتقهقرنا الى الوراء ، عدة مئات من السنين ، لنعيش فترة أخرى ، من فترات الحروب الصليبية .

اذا كانت الحرب الاهلية اللبنانية وأسبابها معروفة للجميع ، اذا كانت هذه الحرب سببا فى مقتل بعض الجنود الامريكيين الموجودين فى بيروت ، لماذا يكون الدروز بمفردهم هم الذين يجب عقابهم ، ان الدروز يموتون أيضا كما يموت أفراد من الجنود الامريكيين

بسبب الحرب الاهلية ، يموت أيضا كل يوم اطفال صغار لا يعرفون بعد فيمــــا اذا كانوا دروزا أو موارنة أو مسلمين ؛ لا يعرفون الا أنهم أطفال لبنانيون ، غير أنهم لا يعرفون لماذا يموتون من الخوف ، أو من الجوع ، أو من رصاصة طائشة .

يتم قتل المسلمين والمسيحيين فى لبنان بالجملة ، لكي تصبح لبنان أرض العذاب ، كمــا يسميها قداسة البابا فى روما ، ويصلى من أجلها كل يوم ، غير ان اللوم كله ، والعقاب كله يتم توجيهــه ناحية وليد جنبلاط والدروز فقط ، كأنهم دخلاء ، يتحالفون مع الآخرين ، هؤلاء الآخرون الذين تعنيهم الدعايات الغربية كل يوم هم بالطبع السوريون ..

الموقف السورى والموقف الفلسطينى

نعرف أن السوريين لا يتدخلون ، ما دامت قواتهم فى البقاع لا تتعرض للمخاطر ، وهى غير ظاهرة حتى الآن بشكل جدى ...

نعرف أيضا أن الفلسطينيين مشغولون منــذ عام ، بشتى أنواع الانقسام العسكرى ، والشتات السياسى ، والظلم العربى ، والاضطهاد الامريكى ، والرياء الاوربى ، وان بقايا الفلسطينيين فى لبنان يتعرضون لنفس قذائف الصواريخ الكتائبية ـ الامريكية التى يتعرض لها الدروز وكافة فئات الشعب اللبنانى ..

يجب أن نعترف أن تاريخ الدروز فى لبنان ، هو تاريخ لبنان نفسه ، ما يتعرض له الدروز حاليــا هو

الضربة الفادحة التى تقدمها هذه الطائفة منـذ وجدت داخل لبنان ، ان وليـــد جنبلاط من جيل الشباب اللبنانى ، لا يمكن وصفه بزعيم طائفة ؛ من يتأمل صور جنبلاط يعتقـد أنه طالب بالجامعة ، انه يمثـل جيل الشباب اللبنانى ، ولا يمثل طائفة ، ان جيل شيوخ لبنان الذى كان يحكم قبل الاستقلال ، هو الذى يحكم بعـد الاستقلال ، وحتى هذه اللحظة ولا أمل هناك فى المستقبل لتنحية هذا الجيل من الشيوخ الذين يجب أن يذهبـوا الى الشيطان ، قبل أن يذهب لبنان نفسه الى ظلمات النسيان ..

الرئيس ووالد الرئيس فى لبنان

ان امين الجميل رئيس جمهورية لبنان الحالى ، هو من جيل الشباب أيضـــا ، غير ان والده الشيخ بيار الجميل ـ ٧٨ سنة ـ هو الذى يحتل الصورة فى لبنان ، هو الذى يتحدث ، الذى يحارب ، يتلاعب بكل شىء ، بما فى ذلك مصير ابنه ، أى ظلم يتعرض له شـاب ، وضعته الاحداث المخزية ، على رأس السلطة ، فى أخطر فترة يمر بها تاريخ بلاده ، ثم يجد نفسه أسير معتقدات أبيه الشيخ ، وميليشيات أبيه الشيخ ، وارتباطات أبيه الشيخ فى الداخل والخارج ، ربمـا كان وليد جنبلاط مثل أمين الجميل ، كلاهمـــا ضـحايا جشع الشيوخ اللبنانيين الذين أضاعوا كل شىء ، لقد كان التحـالف الدرزى المارونى عام ١٨٦١ هو الذى أدى الى استقرار جبل لبنان وبداية تأسيس دولته ، فهل يكون الخلاف

الدرزى ـ المارونى عام ١٩٨٣ هو نهاية هذه الدولة ، من يستطيع الاجابة على السؤال ؟

يقول جنبلاط كلاما واضحا ، ويقدم مطالب معقولة ، يعبر بها عن مجموع الشعب اللبنانى ، مع الاعتراف المسبق بأن ٥٠ ٪ من الشعب اللبنانى حاليا يقل سنه عن ٢٥ سنة ، بمعنى أن نصف شعب لبنان مع الكلام الذى يقوله جنبلاط عن الاصلاح السياسى والاجتماعى : والابتعاد عن الطائفية ، وعدم توريث وظائف الدولة العليا للعائلات المختارة ، وتقديم الفرص المتساوية للجميع ...

ان أمين الجميل ، دون شك ، لديه نفس آمال جيل الشباب ، يحمل تطلعات مواطنيه ، نحو الافضل ، لديه نفس الآمال ، هو أيضا من نفس جيل وليد جنبلاط ، غير أن الاجابة التى يجب علينا جميعا أن نستمعها من الرئيس الشرعى للبلاد ، سوف نستمعها للأسف ، من الشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، وهكذا تكمن المشكلة ، التواجد الظاهر للوالد الشيخ ، يوجد أيضا مجموعة طيبة من الشيوخ فى لبنان ، من كل اتجاه مد الله فى عمرهم ، أصغرهم عمره ٧٥ عاما ، ما زالوا يحتفظون بحيويتهم ، وصفاء ذهنهم ، ويظهرون تمسكا مدهشا بالماضى وأسبابه ، ما زال بعضهم يعتقد أن فرنسا ، ما زالت سيدة العالم ، وأن علم لبنان ما زال هو علم فرنسا ، عليه شجرة أرز لبنانية ، من قبيل الوجاهة ، فهل هى مشكلة الطوائف ، أم هى مشكلة الاجيال فى لبنان ...

يستمتع قادة الكتائب بالتواجد اليومى على أرض

لبنان - بينما نجد رجلا مثل وليد جنبلاط يعيش فى منفاه الاضطرارى ، ما ينادى به جنبلاط لا يمكن بحال وصفه بأنه مسألة درزية ، تخص الدروز وحدهم . فى منطقة جبال الشوف ، ما يقوله جنبلاط والدروز ، نفس ما تقوله الطوائف الاسلامية الاخرى فى لبنان مثل السنة والشيعة .. هو نفس ما يقوله فضيلة مفتى لبنان ، الذى يمثل المسلمين جميعا ، ثم ضرب بيته اوائل سبتمبر ، فى عرمون ، جنوبى بيروت ، لقد تم دخول بيت الشيخ خالد ، ثم العبث أيضا بمحتويات البيت ، وتم ضرب الحراس ، والفاعل مجهول ، واذاعات الدول الغربية الكبرى ، والمعنية بالمسألة اللبنانية ، لم تهتم بالخبر ، لم تذكر عنه شيئا ..

وليس وليد جنبلاط وحده اذن ، يصعب تصور أن يتحمل شاب مثله عبء حرب دولية تدار علنا ضده ، وضد طائفته ، الحقيقة أن الحرب ضد التجمع الوطنى الاسلامى ـ المسيحى الذى يلتف حوله ، ليس سليمان فرنجية درزيا ، كما أنه ليس مسلما غير انه يقف مع غيره من زعماء مسيحيين كثيرين فى لبنان ، فى الصف المؤيد لوليد جنبلاط ، وكل القضايا الوطنية التى يطرحها ، قد يتصور البعض أن ما ينادى به جنبلاط وبقية أعضاء جبهة الخلاص الوطنى هو وليد الساعة ، أو نتاج ظروف أفرزتها ظروف لبنان المأساوية الراهنة .

ما يواجه الدروز حاليا من كراهية ، لم يكن موجودا قبل ستة قرون بالعكس ، عندما ظهرت مطامع فرنسا وروسيا وانجلترا فى لبنان كان الرهان على الدروز وحدهم ، باعتبارهم الاصل والاساس ، عندما أظهر

الدروز صلابة وعنادا ، تمتعوا بهذه الكراهية الاستعمارية التي تظهر على فترات ، آخرها ما نشاهده هذه الايام من مظاهر حرب دولية مكتملة العناصر ضدهم ، استقال الوزير الدرزى من حكومة الوزان ، الحالية ، رئيس اركان الجيش اللبنانى ، وهو درزى عرض استقالته أيضا ، لانه من غير المعقول أن يكون على رأس جيش مهمته الوحيدة القضاء على الدروز ، تقدم أكثر من ضابط درزى كبير باستقالته بالفعل من الجيش ، يقال أن ٥ آلاف ضابط وجندى درزى فى جيش لبنان ، يستعدون الآن لهجرة الجيش ، والانضمام الى اخوانهم فى الجبل ، ماذا يبقى لجيش لبنان الذى لم يبدأ تأسيسه بعد ، ربما يعود الى وضع منتصف السبعينات ، عندما كان لبنان ، البلد الوحيد فى العالم الذى لا يوجد له جيش رسمى . بشكل نظامى ، بينما صدرت فى نفس الوقت دراسة أمريكية ، أشرفت عليها وزارة الخارجية الامريكية عام ١٩٧٧ ، تقول أن الواقع اللبنانى ، منذ عام ١٩٧٥ قد أفرز ٣ جيوش غير نظامية وغير رسمية ، كما أفرز قوتين للشرطة والامن ، وظهرت ٢٢ ميليشيا عسكرية وشبه عسكرية ، بينما لعب على الساحة السياسية زعماء يمثلون ٤٢ حزبا سياسيا ، فى مناخ يسيطر على مجموع أفراده وكل مقدراته ، ١٤ طائفة دينية . .!!

من الذى وصل بلبنان الى هذا الدرك ، الدروز ؟! بالتأكيد يجب البحث عن غيرهم ، فان تمثيلهم فى الدولة ظل طوال الوقت محل شكوى دائمة ، فليس لهم الا وزير أو اثنان فى أى حكومة ، وغير مسموح لاى

زعيم درزى أن يتطلع الى منصب رئيس الجمهورية ، لانه احتكار لطائفة أخرى ، حتى رئيس مديرية الامن العام ، أو قائد الشرطة فى لبنان ، لا يقربها درزى ، أو سنى ، أو شيعى ، هذه المناصب العليا فى الشرطة والجيش ، والخارجية ، والقصر الجمهورى ، والبنوك ، من المحرمات ، كما ان كل الوكالات الاجنبية للشركات والمؤسسات الكبرى ، هى بالضرورة من نصيب طائفة واحدة ، هى طائفة المارون ، فاذا وصل لبنان الى مثل هذا المأزق التاريخى ، من الطريف أن يكون اللوم كله موجها للدروز ، الاكثر طرافة ، ان يكون اللوم الموجه للدروز من النوع الثقيل الذى يصل الى حد محاولة الابادة ، بمباركة دولية رسمية وعلنية ..!!

دروز لبنان .. كم عددهم ؟

لا يوجد احصاء رسمى فى لبنان حتى يمكن رصد العدد الحقيقى لطائفة الدروز فى لبنان ، آخر احصاء رسمى تم فى لبنان ، كان فى عام ١٩٣٢ ، وبمعرفة الفرنسيين ، منذ ذلك اليوم وحتى هذه اللحظة ، لم يظهر أى احصاء رسمى أو غير رسمى فى لبنان .

كل الحكومات الوطنية فى لبنان ، منذ ذلك التاريخ . رفضت باصرار اجراء أى تعداد للسكان ، وبالتالى معرفة حجم الطوائف اللبنانية ، كانت الحكومات اللبنانية وما زالت حتى الآن ، تماطل فى اجراء تعداد سكانى ، لما سوف يترتب عليه من نتائج غير مرغوبة الآن لان عددا

الطوائف وحجم أفرادها سوف يتم ترجمته الى حقائق سياسية جديدة لا يريدها أحد من الموارنة وحزب الكتائب ..

الوضع السياسى اللبنانى يقوم على اكذوبة تقليدية تقول بزيادة عدد المسيحيين على عدد المسلمين ، لقد توقف لبنان من يومها حتى الآن ، على تعداد ١٩٣٢ الذى يظهر ما يلى !

يبلغ مجموع الشعب اللبنانى كله ٦٧١ر٥٠٠ نسمة موزعة كما يلى :

٣٣٠ر٠٠٠ مسيحى
٢٧٥ر٠٠٠ مسلم
٤٣ر٠٠٠ درزى
٣ر٥٠٠ يهودى
٢٠ر٠٠٠ أجانب جنسيات مختلفة

فى أول مجلس نيابى يقام فى لبنان ، بينما كان تمثيل المارون يصل الى ١٠ مقاعد كان تمثيل الدروز قد تحدد بمقعدين فقط .

الادارة العليا للمارون فقط

وأصبحت النسبة الرسمية فى كل الوظائف فى الدولة موزعة بنسبة ٦ : ٥ لصالح المسيحيين ، غير ان بعض الوظائف العليا أصبحت حكرا على طائفة المارون وحدهم دون غيرهم حتى من الطوائف المسيحية الاخرى مثل الارثوذكس والكاثوليك ...

وأصبح الرقم ١١ وهو مجموع ٥ : ٦ يمثل الطوطم فى تاريخ لبنان ، فهو السحر وهو الساحر ، كما

اصبحت مضاعفات هذا الرقم هي تاريخ لبنان أيضا ، لقد أصبح مجلس النواب مثلا يتكون من ٤٤ عضوا ، وعندما زاد أصبح ٥٥ عضوا ، ثم ٦٦ وهكذا حتى صار المجلس الحالى الذى تم انتخابه قبل أحد عشر عاما ، وما زال قائما ، يتكون من ٩٩ عضوا .

يقول واحد من اعضاء هذا المجلس الذى يقضى أكبر فترة تمثيلية فى تاريخ البرلمانات أو الحياة الديموقراطية عموما ، يقول أن برلمان الـ ٩٩ فى لبنان ، يمثل تماما الجمعية العامة للأمم المتحدة ، اذ ان كل عضو فى هذا المجلس العجيب ، يمثل دولة قائمة بذاتها .. !!

من الطريف أن بعض الحكايات اللبنانية ترجع النسبة المعمول بها فى لبنان ، فى لعبة الحكم ، وهى ٥ : ٦ ، تقول ان صاحب هذه الفكرة هو زعيم الوفد المصرى السابق المرحوم مصطفى النحاس باشا ، جاء اليه بشارة الخورى ورياض الصلح ، عقب استقلال لبنان مباشرة ،يطلبان المشورة ، مع اتفاقهما المسبق على ترجمة الواقع اللبنانى الى حقائق سياسية ، أما الواقع فهو أن الاغلبية للمسيحيين ، وان الحكم لهم ، وان المسلمين شركاء اقل درجة ، وانهم فى لبنان لا يعرفون كيف يترجمون هذه المعادلة الصعبة الى واقع ملموس ، يمكن ترجمته بالنسبة اوظائف الدولة ، ومواقعها العليا ، ومجلسها النيابى ، اقترح النحاس باشا ، كما تقول الرواية ، نسبة الـ ٦ : ٥ كطريقة لحل المشكلة ، وقد فرح بشارة الخورى ، ورياض الصلح ، واقاما دولة ، تقول رواية أخرى أن وزيرا بريطانيا هو الذى اقترح على اللبنانيين فكرة النسبة ٦ : ٥ ونشك فى ذلك لان بريطانيا كانت بعيدة نسبيا عن لبنان خلال هذه الايام ... غير أن

الفرنسيين بعد عامين فقط ، وضعا الرجلين فى السجن وكان قد وصل أولهما الى منصب رئيس جمهورية لبنان ، بينما وصل الثانى الى رئاسة الوزراء لتصورهما الخاطىء ان لبنان قد استقل حقيقة ، ولم يخرج الرجلان الى النور الا بعد تدخل المصريين !!

دستور لبنان وكم من التعديلات

كانت فرنسا هناك بشكل رسمى ومباشر ، منذ عام ١٩١٨ ، الى عام ١٩٤٣ ، بعدها ظلت فرنسا تتمتع أيضا بنفس الصلاحيات ، ولكن بشكل غير مباشر ، طوال الوقت ، عملت فرنسا على اضطهاد الاهالى ، فتحت أبواب لبنان ، أمام الارمن الذين كانوا يهربون ذلك الوقت من الاضطهاد التركى ، عاملت البلاد كمستعمرة فرنسية ، أظهرت الاحتقار للعرب ، سحبت رصيد الذهب الذى كانت تملكه البلاد خلال الحكم التركى ، ربطت العملة المحلية بالفرنك الفرنسى ، تنازلت عن شمال سوريا لتركيا لتكسب ودها ، أقر دستور ١٩٣٢ قيام انظمة مختلفة للأحوال الشخصية لتكريس الطوائف ، أصبحت الدولة اللبنانية فى الحقيقة مجمعا لعدد من الشعوب يوازى عدد الطوائف ، تم وضع مادة فى الدستور تثبت الوضع الطائفى رسميا ، وبعد عشرين عاما ، عندما تم تعديل الدستور تم اقرار نفس المادة دون تعديل .

لقد تم تعديل الدستور اللبنانى ، مرتين فى عهد الاحتلال ، كما تم ايقافه مرتين فى عهد الاستقلال ، تم تعديل الدستور أيضا مرتين ، أحدهما عام ١٩٤٣ والثانية عام ١٩٤٧ ، وفى كل الحالات كان الوضع

الطـــائفي مقدســا ، لا يمس ، الى أن مزق الوضـــع الطائفى الدولة اللبنانية ، كما هو حاصل هذه الايام ، ويدفع الدروز الثمن ، مضاعفا ، كما تدفع أيضا بقية الطوائف اللبنانية ...

بعــد اعلان الاســتقلال ، تم اجــراء انتخابات لاول مرة فى لبنان ، فى مايو ١٩٤٣ ، تم عقد أول جلسة لمجلس النواب فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٣ ، وظهر ما عرف وقتها بالميثاق الوطني ، وهو اتفاق جنتلمان غير مكتوب، اصبح فيمــا بعد اقــوى من الدستور والبرلمان ، وكل مؤسسات الحكم ، وهو الذى اكد أيضا الحكم الطائفي ، ومن العجيب أن كل القوى الوطنية حاربت هذا الاتفاق منذ بداية ظهوره ، ومازالت الحرب ضده قائمــة حتى الآن ، دون جدوى .

المسلمون بين السنة والشيعة

ظهر احصــاء تقــديرى لعدد سكان لبنان عام ١٩٤٣ ، عقب اعلان الاستقلال مباشرة ، تم بشكل غير رسمى ، وغير علمى ، وكرس الحقائق نفسها ، المتعلقة بالاغلبية المقررة للمسيحيين بالنسبة للطوائف الاخرى ، بما فيها الدروز .. وأرتفع عــدد الدروز الى ١٣١ر٨٨ . بينما سجل الاحصاء نفســه ، سجل لطائفة المارون عددا يبلغ ٧٠٨ر٤٢٣ وهكذا احتفظ المارون بتفوقهم الوهمى ...

وهكذا كرس التعداد التقديرى الذى وضعه الفرنسيون أيضا عام ١٩٤٣ نفس النتائج التى توصل اليها تعــداد ١٩٣٢ ، الاغلبية للفئات المسيحية ، وبالتالى ظل الحــكم فى أيديهم حتى الآن .. رغم اعتراف كافة اللبنــانيين

بمن فيهم من المسيحيين أن هذه الارقام كلها وهمية ، وغير حقيقية ، ولا أحد فى داخل السلطة يريد الاستماع الى المطلب الشعبى الذى ظل يتردد طوال الاربعين عاما الاخيرة ، بضرورة اجراء تعداد رسمى تشرف عليه جهات محايدة ، يظهر حقيقة جغرافيا السكان فى لبنان وما يترتب عليها من نتائج سياسية .. غير ان الاصرار الرسمى على الرفض ، تولدت عنه ثورات شعبية ، انتهت بحروب أهلية ، أبرزها الحرب التى دارت عام ١٩٥٨ ، والتى بسببها طلب كميل شمعون التدخل العسكرى الامريكى ، ثم الحرب الاهلية التى دارت عام ١٩٧٥ وانتهت بالاحتلال العسكرى الاسرائيلى للبنان ، والذى ظل قائما حتى الآن ، يقول الدروز والفئات اللبنانية الاخرى ، بمن فيهم قطاعات مسيحية مؤثرة ، أن الغزو العسكرى الاسرائيلى للبنان تم بالتشاور مع حزب الكتائب الذى وجد أن الامر بدأ يفلت من يده ، وانه لابد من معونة أجنبية ، غير ان الاحتلال الاسرائيلى كانت له مقاصده الخاصة ، ولم تكن بالتالى متفقة تماما مع مقاصد حزب الكتائب ، من خلال هذا التناقض عادت الحرب الاهلية اللبنانية مرة أخرى ، غير أنها هذه المرة اتسعت لتكون حربا دولية ، فالقوات المتعددة الجنسية وجدت نفسها مشتركة فى الحرب ، غير ان كل الاسلحة ، تم توجيهها فى النهاية لطائفة الدروز ، باعتبارها مركز الثقل فى الحركة الوطنية اللبنانية ، وتورطت أطراف دولية فى المسألة اللبنانية بطريقة تنذر بكوارث وخيمة ، ربما تتسع لتشمل مناطق أخرى فى الشرق الاوسط .

ان احدا لا يستطيع باطمئنان أن يقـول ان القضاء على المقاومة الدرزية ربما تحل المشكلة داخل لبنان .
هذا خطأ لسببين ، أحدهما أن الدروز لا يشـكلون فى مجموعهم المشكلة الاساسية للبنان . أما السبب الثانى فانه لا يمكن القضاء على الدروز لانهم بطبيعة تكوينهم من ناحية ، وطبيعة ارتباطهم التاريخى بلبنان ، يجعل من قضية القضاء على الدروز ، قضاء فى نفس الوقت على لبنان كدولة وكشعب .

الدروز ومشكلة اسم الشهرة

والدروز ، لا تعجبهم كلمة الدروز هذه ، فليست اسما لهم ، كما أنها ليست صفة اشتهروا بها ، فكلمة الدروز هى اسم شهرة لصق بهم منذ البداية ، وهم كجماعة دينية يحبون تسميتهم باسم الموحدين ، فهذا هو اسمهم الحقيقى . ولما كانت كلمة الدروز قد التصقت بهم كاسم شهرة ، لم يعد لديهم الحيلة لتغييرها ، وهكذا اذا أطلقنا منذ البداية كلمة الموحدين للحديث عن المسألة الدرزية ، لما تعرف القارىء عن أى فئة يدور الحديث ، لذلك كان من الافضل أن نبدأ بتعريفهم بما اشتهروا به ، لكى نصل فيما بعد الى اسمهم الحقيقى الذى عرفوا به فى تاريخ الفرق الاسلامية ، وما أكثرها ، وان كانت الفرق المسيحية قد سجلت فرقا أكثر على مر العصور ، ولبنان نفسه شاهد على ذلك ، فهناك الموارنة ، والروم الكاثوليك ، والروم الارثوذكس والبرتستانت ، والكلدان ، الخ .

الاسم الاصلى جاء من مصر

قد لا يعـرف كثير من القراء أن مذهب الموحـدين ويجب أن نتحدث عن الدروز منذ الآن باسمهم الذى يحبونه ، وهو الموحدون ، بدأ هذا المذهب فى مصر ، غير أنه انتشر فى بلاد الشام ، وتركز فوق جبل لبنان ، بتفصيل أكثر ، بدأ المذهب فى القاهرة فى عصر الخليفة الفاطمى الثالث ، الحاكم بأمر الله ، أشهر خلفـــاء الفاطميين على الاطلاق ، وأكثرهم قابلية للجدل العام ، والذى كان مثار سـخرية المصريين جميعـــا ، ومحـلا لنكاتهم التقليدية ، التى ظل بعدها متداولا حتى الآن .

تولى الحاكم بأمر الله الخلافة الفاطمية وعمره لا يزيد على ١١ عاما ، بدأت هذه الخـــلافة عام ٣٨٦ هـ ، واستمرت خلافته حتى عام ٤١١ هـ عندما تعرض لمؤامرة غامضة انتهت بقتله ، ويقال أن أخته غير الشقيقة كانت ضالعة فى مؤامرة قتله .

كان الحاكم بأمر الله ، امبراطورا عظيما ، يحكم أكبر دولة فى زمانه ، واختلف المؤرخون حـول طريقته فى الحكم ، بعضهم قال أنه كان مصلحا عظيما ، والبعض الآخر اعتبر بعض تصرفاته متسمة بالشذوذ والجنون ، غير أن كثيرا من مريديه ، من دعاة الدعوة الفاطمية فى الاساس ، ارتفعوا بالحاكم بأمر الله ليصلوا به الى مرتبة أمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، وسليل الرسول الكريم ، وكانت طائفة الاسماعيلية هى الاكثر غلوا فى الصاق المزيد من الاوصاف للحاكم بأمر الله ، ثم جاء رجل يدعى حمزة بن أحمد ، كان موظفا صغيرا فى

حاشية الحاكم بأمر الله ، لـكنه كان طموحاً ، ذهب حمزة هذا ، بتشجيع من الحاكم بأمر الله الى وضــــع الاسس التى تكفل ليحاكم بأمر الله طريق الوصول الى مرتبة الالوهية ، وثار المصريون وضربوا قصر الخليفــة بالحجارة ، وحاولوا الفتك بحمزة أكثر من مرة، واختفى حمزة فى أحد السراديب بضعة أعوام ، ولما قتل الحاكم بأمر الله عام ٤١١ ، تم قتل حمزة بعده بعام واحد ، غير ان رسائل كثيرة كان حمزة قد بعث بها الى كثير من دعاة الفاطميين فى سوريا ولبنان وفلسطين وكان حامل رسائله هو زوج شقيقته ووجدت قبولا لديهم ، ولم يكن حمزة منصفا لولى نعمته الحاكم بأمر الله ، يبدو أيضــا أن طموحه لم يكن ليقف عند حد الوفاء لسيده ، فقد ادعى حمزة لنفسه كل ما أعطاه لسيده الحاكم بأمـر الله : وانتزع لنفسه كافة الالقاب التى سبق أن خلعها بسخاء على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله ، ابان خيانته ...

لقد كان العالم الاسلامى يموج فى خلال هذه الفترة بالكثير من الدعاوى الدينية التى اختلطت بثقـــافات الشعوب الاخرى التى فتح بلادها المسلمون ، كانت هناك الثقافات اليونانية والفارسية والبابليـــة والاشورية والهندية بل والصينية أيضا ، وتقدم علم الـكلام عند العرب ، وشغلوا أنفسهم بما ينشغل به الثراة عادة ، الى جانب النعرات الشعوبية التى بدأت تطل برأسها فى كثير من أطراف الامبراطورية الشاسعة ، وعندما قامت الدعوة الفاطمية فى المغرب كان لهـــا دعـاة أقـــوياء : انتشروا فى كل مكان ، وعندما قامت دولة الفاطميين

بالفعل ، كانت دعاياتها قد سبقتها بفترة طويلة ، وعندما انتقل ملكهم الى مصر زادت شهرتهم ، وتمكنت دعوتهم بطريقة أكثر اضطرادا ، وكلما قويت مملكتهم كان احتمال تصديقهم والالتفاف حولهم يشكل دائرة يزيد اتساعها ، ويزيد تقبلها ، هكذا كان الحال عندما جاء الحاكم بأمر الله ، وكان طفلا مدللا ، وحيد والديه ، ليست له الا أخت غير شقيقة ، وكان هو وليا للعهد ، وينتظر الملك ، فوجد حياة حافلة فى قصر أبيه ، وعندما مات أبوه العزيز بالله ، كان المنصور وهو الذى عرف فيما بعد باسم الحاكم بأمر الله ، كان المنصور لا يزيد عمره على ١١ عاما ، وجد الطفل نفسه فى حياة مترفة ، الكل يسجد تحت قدميه ، يمتلك امبراطورية هائلة ، يعطى ويمنع ، يقتل من يشاء ، ولاى سبب ، ويعفو عن من يشاء ، ولاى سبب أيضا ، وهكذا قيل بأن الخليفة يهب من يشاء ، ويمنع عن من يشاء ، يحيى ويميت ، وتم تداول مثل هذه الاقاويل على نطاق واسع داخل القصر ، والحاكم بأمر الله سعيد بهذا كله ، يلتف حوله طائفة من الخدم والحشم والموظفين ليست لديهم الوسيلة للتقرب نحو الحاكم الطفل الا زيادة الزلفى له ، هكذا نشأ الخليفة الفاطمى الثالث ، والدعوة الفاطمية فى عنفوانها ، ثم استغلال هذا كله من أجل طموحات حاكم صغير افسده رجال قصره ، وعظمة سلطانه ، واتساع امبراطوريته ، ونشاط الدعاة الفاطميين فى كل أطراف الامبراطورية الفاطمية .

عقائد الدروز وعقائد الفاطميين

وهكذا ، ظهر المذهب الدرزى فى بلاط الحـــــاكم الفاطمى ، ومن يريد معرفة عقيدة الدروز عليه أولا معرفة عقائد الفاطمية ، وتطورها من عصر الى عصر ، ومن بلد الى بلد ، ولا يوجد الكثير الذى يمكن قوله باطمئنان عن عقيدة الدروز ، لان معظم الدروز أنفسهم لا يعرفون حقيقتها ، ويبدو انهم لا يريدون معرفتها ، لغموضها من ناحية ، ولاحتفاظ اقليـــــة درزية بطبيعـــة أسرارها ، والدروز يحتفظون بمذهبهم منذ البداية فى سرية تامة ، وكتمان شديد ، لا يبيحون بها الا للعقلاء الكبار فقط ، لا يجوز للصغار أو ناقصى العقل أن يعرفوا عنها شيئا ، وهم ينقسمون فى الناحية الدينية الى عقال أو اجاويد وجهال ، والفئـــة الاولى لهم حق معـــرفة العقيـــدة على مراحل ، وطبقا لدرجات ثلاث ، من يجتـــاز الاولى ، يصل الى الثـــانية ، ومن يتفـــوق فى الثانية يصل الى المرتبة الثالثة من العلم بالعقيدة ، اما فئة الجهال فليس لهم الحق فى معرفة أى شىء ، الا الاســـــتماع لبعض ما يقوله شيوخهم فى يوم العيد ..

وللنساء فى المجتمع الدرزى ، نفس التصنيف طبقتان : احداهن طبقة العاقلات ، والثانية الجاهلات ..

وللدروز رؤساء دينيون ، ولهم قضاة يحكمون وفقا للشريعة الاسلامية ، مع بعض التقاليد الدرزية مثل عدم السماح لرجل أن يتزوج من امرأتين ، ولا يجوز عندهم نظام المحلل مهما كان الامر ، فمن طلق زوجتـــه ثلاثا ، لا يجوز ارجاعها بأى حال ..

أمير الدروز فى العصر الحديث

يقول د . محمـد كامل حسـين ، فى كتابه الفريد عن الدروز ، أنهم من قبائل عربية معروف نسبها على مر التاريخ ، وأنهم طوال تاريخهم مع اخوانهم العرب ، يدا واحدة ، وانهم استبدلوا اسم جبل الدروز ، الذى عرف باسمهم باسم « جبل العرب » ...

جاء على لسان واحد من أبرز زعماء الدروز وهو عادل النكدى الذى قال موجها الحديث الفرنسيين : « ان الدروز مسلمون ، كانوا ولا يزالون ، وانهم لو لم يكونوا كذلك لصيرتهم عربيتهم مسلمين .. » .

لعل أبرز ما يمكن تقديمه عن عقيدة الدروز ايضا ، نقلا عن واحد من ابرز زعمائهم فى العصر الحديث ، وأكثرهم شهرة وهو الامير شكيب أرسلان ، يقول الامير الدرزى ؟ ان الدروز احدى الفرق الاسلامية ، أصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية ، والشيعة الاسماعيلية الفاطمية تستمد أصولها من الشيعة السبعية التى تقول بالائمة السبعة ، وهؤلاء من جملة المسلمين كما لا يخفى ، فاذا قيل بأن الدروز من الفرق الباطنية التى لا يحكم لها بالاسلام ، فالجواب هو ان الدروز مسلمون ، ويقيمون جميع شعائر المسلمين ، ويتواصون بمرافقة المسلمين فى السراء والضراء ، ويقولون ان من خرج عن ذلك فليس بمسلم ، والدروز يلقون السلام ، ويقرءون القرآن ويلقن ملقنهم الميت « اذا جاءك منكر ونكير ، وسألاك مادينك ؟ ومن نبيك ، وما كتابك ، ومن اخوانك ، وما قبلتك ،

فقل لهما الاسلام دينى ، محمد نبيى ، والقرآن كتابى ، والكعبة قبلتى والمسلمون اخوتى .

هذه هى العقيدة الدرزية ، كما يقدمها لنا واحد من ابرز امرائها فى عصرنا الحديث ، وقد انتشرت العقيـدة الدرزية فى البداية فى منطقة بين دمشق وبانياس فى سوريا عام ٤٠٨ ميلادية ، وقد سكن المنطقة قبائل عربية قدمت من اليمن تنتسب الى تيم الله بن ثعلبـة قبـل الاسلام بقرون ، وفى عهد الفتوحات الاسلامية ساهموا فى فتح بلاد الشام .

وفى عهد معـــاوية ناصروه فأعطاهم مناطق كثيرة يحكمونها .

وناصروا العباسيين فأعطـوهم ما هو اكثر ، وطلب الخليفة أبو جعفر المنصور منهم أن يسافر بعضهم الى سواحل لبنان لحمايتها من غارات الروم وتأمين طرق المواصلات ، وبالفعل سافر الامير ارسلان ، وشقيقه الامير المنذر بن مالك حيث استقروا عام ١٤٢ هـ فى جبل لبنان ، وزاد نفـــوذهم وأقرهم العباسيون على التوسع بشجاعتهم ، واستمرت هجرة القبائل العربية الى لبنان وحوران ووادى التيم .

وفى ٣٥٨ هـ ، بدأت فتوحات الفاطميين لبلاد الشام، فدخلت هذه القبائل فى الدعوة الفاطمية ، وكانت قبائل تنوخ هى الاسرع فى تقبل الدعوة الفاطمية فى جبـل لبنان ، وعندما جاء الحاكم بأمر الله بمذهبه الجديد كان أهـل وادى التيم وجوران وجبـل لبنان ، الاكثر قبولا للدعوة الجديدة واحتفظوا بهـا ، وجعلوا من بلدة

بعقلين فى الجبل مقرا لدعوتهم ، وهى حتى اليوم المقـر الرسمى والروحى لشيخ عقال الدروز ..

كان الارسلانيون والتنوخيون هم ســـادة جبل لبنان خلال الغزوات الصليبية فحاربوا الصليبيين ، واشتركوا مع الدروز فى سوريا وفلسطين فى الدفـاع عن الارض العربية ، وهم الذين استولوا على قلعة الشقيف وقلعة القرين وطردوا الصليبيين . علينا أن نتذكر أن قلعـة الشقيف فى جنوب لبنان التى خلصها الدروز من أيدى الصليبيين ، هى نفس قلعة الشقيف التى ظلت فى أيدى المسلمين الى عام ١٩٨٢ ، عندما حضرت قـوات الغزو الاسرائيلى لتجتاح أرض لبنان فى صيف نفس العـام ، وعندما وصلت القوات الاسرائيلية كان يحرسها قوات من منظمة تحرير فلسطين ، وبعد قتال غير متكافىء ، صمد فيه الفلسطينيون حتى تم استشهادهم جميعا ، واستولت اسرائيل على قلعة الشقيف ، و .. حضر الى القلعة مناحيم بيجين ، رئيس وزراء اسرائيل ، ومعه الجنرال شارون ، وكل قواد اسرائيل ، وعندما احتفلوا بالنصر ، طلب بيجن مشاهدة الاسرى من المسلمين ، ورد الضابط الاسرائيلى ، لقد ماتوا جميعا ، وتم تسليم القلعة للرائد سعد حداد أمام عدسات تليفزيون اسرائيل ..!!

قام الامير بحتر الارسـلانى بهزيمـة الصليبيين فى معركة رأس التين سنة ١١٥١ ، كمـا كان الامير جمال الدين التنوخى أميرا على جبال لبنان ابان حكم صلاح الدين الايوبى وفى القرن السادس الهجرى ظهرت أسرة معن فى اقليم الشوف ، وكانت بعقلين مقرا لهم ، وهى المقر الروحى لشيخ عقال الدروز حتى اليوم .

وفى مواجهة التتار ، اشترك الارسلانيون مع السلطان قطز فى انتصار المسلمين فى معركة عين جالوت .

وكانت معاركهم الى جانب السلطان الظاهر برقوق ، شاهدا على حسن بلاء الدروز لصالح الاسلام والمسلمين .

وفى عهد الدولة العثمانية ، اتسع نفوذ بيت معن حتى سمى جبل لبنان باسم بيت معن ، وكان الامير فخر الدين بن معن الثانى من القوة بالقدر الذى جعله يفكر فى الاستقلال عن السلطان التركى ، وقد استمرت الامارة فى هذا البيت وحده قرابة ستة قرون .. وبوفاة آخر شيوخها ١١٣٩ هـ . حلت الاسرة الشهابية مكانها فى امارة لبنان ، وفى عهد هذه الاسرة قامت الفتن والحروب بين الدروز والمارون واستمرت حتى عام ١٨٦٠ .

عائلات الدروز فى لبنان

ومن أشهر عائلات الدروز ، سوف نجد العائلة الجنبلاطية ، وهى أسرة من مشايخ الدروز تنتسب الى جنبلاط بن سعيد بن حسين جنبلاط بن قاسم ، سافر جنبلاط من حلب الى لبنان مع ولده رباح ضيفا على آل معن ، فقابله أكابر لبنان ، وطلبوا منه الاقامة بينهم ، فاستقر فى الشوف ، واعتمد عليه الامير فخرالدين فى المهمات الكبرى ، وهو الذى حافظ على قلعة الشقيف وتوفى هناك عام ١٦٤٠ م .

وكان ابنه على قد تزوج من ابنة كبير مشايخ الشوف الشيخ قبلان القاضى التنوخى الذى مات عام ١٧١٢ دون أن ينجب ولدا فذهبت المشـــــيخة الى الامير يوسف الشهابى الذى سرعان ما كرهه الناس لظلمه ، وزاد تقرب الاهالى من الشيخ على الجنبلاطى ، فانقسمت البـــلاد وقتهـــــا الى فئتين ، من تحزب للشيخ على عرفـوا بالجنبلاطية والفئة الاخرى عرفت باليزبكية ، وبوفاة الشيخ على عام ١٧٧٨ تولى المشيخة ابنه قاسم الذى سكن فى قرية المختارة . وهى التى ظلت حتى الآن مقرا مختارا للجنبلاطية ، ويسكنها وليد جنبلاط ، كما كان يسكنها والده المرحوم كمال جنبلاط ، ولهم قصر عظيم هناك ، يستقبل الدروز كل يوم ، وهو مقصدهم جميعا ، ومن الطريف أن يقول بعض الامريكيين أن عائلة جنبلاط العربية العريقة ، ليست الا عائلة وفدت الى جبل لبنان ، من بلاد القوقاز قبل قرنين فقط من الزمان .. وهـكذا يتطوع الامريكيون حديثا فى تكملة سلسلة الاكاذيب التى رواها الفرنسيون عن الدروز وأصلهم الفرنسى الصليبى ، الى جانب أكاذيب الانجليز التى نسجوها حـــول الدم الملكى البريطانى الذى امتزج منذ القـــدم بدماء طائفة الدروز ...

لقــد كان مقتــل كمال جنبلاط منذ ستة أعوام حدثا خطيرا فى حياة لبنان ، لقــد تم قتله قرب قرية كميل شمعون ، وفى أحضان قوة الردع العربية ، وقيل وقتها ان حياته كانت ضرورة ، كما أن وفاته أصبحت ضرورة أيضـــا ، لذلك مات ، أما التعليق على مصرعه فى ذلك الوقت ، أن الرجل تم قتله على الطريقة الامريكية ، وكان

المارون أول من أطلق النار فرحا بوفاة جنبلاط ، أن احدا حتى الآن لم يقل بالتحديد من هو القاتل ، غير أن شابا درزيا وقف الى جانب جثمان زعيمه ، وصرخ ، اللعنة على كل درزى ، يترك فى هذه المدينة حجرا على حجر ، يقصد بيروت ، وقد نعاه الشاعر كمال عمار فى قصيدة حزينة يقول فيها بأن الموت فى لبنان أصبح بالمجان ... وبعدها أشاع الامريكيون أن جنبلاط من عائلة نزحت الى لبنان من بلاد القوقاز .

الى جانب الجنبلاطية ، والارسلانية ، والنكدية ، واليزبكية ، توجد عائلات درزية أخرى كبيرة ارتبط مصيرها ، بلبنان طوال تاريخه ، وكلها عائلات عربية عربقة ، وتاريخها معروف وكفاحها مشهور ، وارتباطها بلبنان ودفاعها عن أراضيه وسهوله متصل الى يومنا هذا ، برغم اختلاف الظروف الدولية ، وتعاقب العصور ، فان الدروز فى لبنان ، لسبب ما مكتوب عليهم مواجهة التحديات .

نصف مليون درزى فى لبنان

ان الدروز حاليا فى لبنان ، يصل تعدادهم قرابة نصف مليون ، وهم أيضا فى جبل الكرمل فى الجليل الاعلى وصفد فى أرض فلسطين ، تقول التقديرات الاسرائيلية أن عددهم يصل الى ٦٠ الفا وان كان هذا التقدير أيضا لا يمكن الاطمئنان اليه ، ولقد أذاع الاسرائيليون أن مايقرب من ١٣٠٠ مجند درزى فى الجيش الاسرائيلى قد كتبوا الى رئيس الاركان ، خلال سبتمبر ،

يطلبون السماح لهم بالتوجه الى جبل لبنان ، للوقوف الى جوار اخوانهم دروز لبنان الذين يتعرضون لمعـــارك دامية من جانب ميلشيات الكتائب وغيرهم ، ولم ترد قيادة الجيش الاسرائيلى وان كانت قد سربت النبأ ، كمـــا ان مشايخ الدروز ، وبعض كتاب الصحف من الدروز وأعضاء فى الكنيسبت ، كلهم يتحدثون الآن بمـــرارة عن المظـــالم التى يتعرض لها دروز لبنان ، وتسمح كافة وســـائل الاعلام الاسرائيلية لهذه الاصوات الدرزية بالوصـــول الى خارج اسرائيل ، غير انه يوجد ايضا فى هضبة الجولان أعداد كبيرة من الدروز ، لا نسمع عنهم شيئا ، بالطبع لا يقل دروز الجـــولان غيرة على اخوانهم فى لبنان ، وما يتعرضون له من هجمات ، لماذا ينتشر صوت دروز اسرائيل ، لماذا لا نعرف شيئا عن موقف دروز الجولان، ماذا تريد اسرائيل بالضبط ، كيف تحاول أستثمار محنة شعب ، وتمزيق أمة ، وضياع دولة ، كيف يفكر السادة فى بيروت الذين يحكمون باسم الميثاق الوطنى ، لقد تمسكوا طويلا بالميثاق ، أين هو الوطن .

الفصل الثانى :

الموارنة والكتائب

ماكفرلين المبعوث الامريكى لادارة الصراع اللبنانى ، لو انه نظر الى تجربة زميله روبرت مورفى ، مبعوث أمريكا عام ١٩٥٨ ، لادارة صراع مشابه ، ابان حرب لبنان الاهلية ، قبل ٢٥ عاما ، ربما حقق بذلك فائدة مزدوجة ، لبلاده وللشرق الاوسط ، استمع مورفى وقتها الى توصيف كميل شمعون للمشكلة وهو مارونى بارز ، وكان رئيسا لجمهورية لبنان فى ذلك الوقت ، وهو الآن يناضل مرغما تحت رايات حزب الكتائب ، كان توصيف شمعون للوضع اللبنانى المتفجر عام ١٩٥٨ .

ان مشكلة لبنان ليست داخلية ، وأن الحرب الاهلية قامت لاسباب خارجية ، وقال شمعون موجها الكلام للمبعوث الامريكى ، لان الحكومة اللبنانية تقبلت الانضمام باطمئنان وفرح الى حلف بغداد ، ولان لبنان ايد أمريكا ، ضد دولة الوحدة التى قامت بين مصر وسوريا قبل نشوب الحرب الاهلية اللبنانية بشهرين ، فان لبنان هو الذى يدفع الثمن .

استمع مورفى باهتمام الى كل دعاوى كميل شمعون ،

غير أن مورفى ، توصل الى نتائج مخالفة تماما ،تولدت لديه قناعة كاملة بأن الثورة اللبنانية عام ٥٨ ، قامت لاسباب داخلية تماما ، واقتنع أن قوات الاسطول السادس الامريكى التى كانت قد نزلت بالفعل على الشـواطىء اللبنانية ، استجابة لاستغاثة عاجلة من كميل شمعون ، اقتنع مورفى أن القوات الامريكية ٢٠ ألف جندى ، لن تكون ذات فائدة تذكـر ، وان وجـودها غير مرغوب فيـه شعبيا ..

***

وبرغم أن ثورة العراق الوطنية قامت فى يوليو ١٩٥٨، وأنهت بنجاح النظام الملكى فى بغداد ، وعطلت أعمال حلف بغداد ، برغم قيام هذه الثورة قبل ثلاثة أسابيع فقط من نزول قوات الاسطول السادس على الشواطىء اللبنانية ، فان مورفى كتب الى حكومته ينصح بانسحاب الجيش الامريكى على الفور من لبنان ، وبالفعل أصـدر الرئيس الامريكى دوايت ايزنهاور قرارا فى ٢٧ نوفمبر ١٩٥٨ يقضى بانسحاب القوات الامريكية من لبنان بناء على طلب رسمى من حكومة الرئيس فؤاد شـهاب ، الذى خلف كميل شمعون فى منصب الرئاسة اللبنانية .

من أواخر يوليـو الى أواخر نوفمبر ، عام ١٩٥٨ حوالى ١٠٠ يوم هو كل الوقت الذى تمركزت فيه قوات أمريكا فى لبنان قبل ٢٥ عاما ، وخرجت من هناك ، لان الحل جاء من داخل لبنان ، وليس عن طريق الغزو العسكرى الخارجى ، ولان المشكلة كانت بسبب نزاعات طائفية داخلية ، فقد تم تجاوز المحنة بمصالحة وطنية، ولان كميل شمعون كان من أبرز المطالبين الموارنة بضرورة

وجود حماية اجنبية لمصالح فئة الموارنة فى لبنان ، فقد تم ازاحة شمعون ، وتوصل الاطراف الى ترشيح الجنرال فؤاد شهاب رئيسا لجمهورية لبنان ، الذى كان أول عمل رسمى له بعد ولايته يتعلق بمطالبة انسحاب القوات الاجنبية من أراضى لبنان ..

لو ان ماكفرلين فكر مليا فى وقائع ما قبل ربع قرن فى لبنان لانحاز على الفور ، الى رأى سلفه ، وطالب بانسحاب جيوش بلاده دون ابطاء من لبنان ، وتشجيع عقد مصالحة وطنية لبنانية ، أن التورط المتزايد ليس للوجود العسكرى الامريكى فقط ، أيضا التورط فى الانحياز علنا مع طائفة واحدة ، فقط ، فى الحرب الاهلية اللبنانية الحالية ، متجاهلا وجود طوائف اخرى تدخل فى صميم البنية الاساسية للدولة اللبنانية ، وهو الخطأ الذى لم يحاول مورفى قط الوقوع فيه ..

فى عام ١٩٥٨ ، كانت الطائرات الامريكية ، تحلق فى سماء بيروت تلقى منشورات مكتوبة باللغة العربية موقعة بامضاء الرئيس ايزنهاور الذى كان يحظى فى ذلك الوقت بالشعبية فى العالم العربى بسبب وقوفه ضد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، كانت المنشورات تطمئن الاهالى بأن الامريكيين حضروا بناء على طلب من الحكومة اللبنانية ، وأنهم سيرحلون فور هدوء الاحوال . وقد رحلوا بالفعل ، بعد أن نجحوا فى العمل على تهدئة الاحوال فى لبنان ..

***

فى عام ١٩٨٣ ، يلقى المتحدث العسكرى الرسمى ، باسم قوات مشاة البحرية الامريكية ، الموجودة حاليا

فى لبنان ، يلقى نفس المقـــدمة بأنهم حضروا بناء على طلب حكومى ، غير انه بدلا من قوله بأنهم ســـيرحلون مبكرا ، بعد هدوء الاحوال ، يقول الامريكيون حاليا كلاما آخر ، يختلف تماما عن كلامهـــم عام ١٩٥٨ ، ربما لاختلاف الظروف العربية نفسها ، قبل ربع قرن ، كانت هناك دولة للوحدة العربية فى دمشق والقاهرة ، وكانت بغـداد قد أنجزت لتوها ثورة وطنية ، وكان الشعب العــربى كله قد بدا واحدة من أبرز صحواته التاريخية .

فى عام ١٩٨٣ ، يقول المتحدث العســكرى الامريكى انهم باقون ، وان قواتهم العســـكرية فى تزايد ، وان واشنطن قد أقرت قائد مشاة البحرية فى لبنان على ضرب اللبنانيين ، كما يريد ، دون الرجوع الي واشنطن ، ثم أقر الكونجرس بعد أسابيع ، طلبا للرئيس الامريكى ، يقضى ببقاء القوات الامريكية فى لبنان مدة ثمانية عشر شهرا ...

فى عام ١٩٥٨ ، كان كميل شمعون هو الـذى طلب التدخل العسكرى الامريكى ، كان ثمن العـودة للوفاق الوطنى هو ذهاب شمعون نفســه ، غير انه من قبيل الامانى أيضا ، أن نتوقع الآن حلا لبنانيا مماثلا ، أصبحت المشكلة أكثر تعقيدا ، ليس عام ١٩٥٨ ، على أى حال هو العام الحالى ١٩٨٣ ، لقد انحاز حزب الكتائب اللبنانى ، باطمئنان وفرح ، طوال الربع قرن الماضى ، الى كـل الخيـــارات التى تؤيد استمرار التواجد الاجنبى فى لبنان ، غير أنهم لا يدفعـــون الآن بمفردهم ثمن هذه الافراح كلها ، يدفع لبنان . وبقية العالم العربى ، الثمن

فادحا هذه الايام ، والمستقبل فيما يبدو أصبح قاتما ...

أقدمت عدة دول عربية على عدم الاحتفال بالعيد الذى جاء يوم ١٧ سبتمبر ١٩٨٣ ، وهو عيد الضحية عند المسلمين لان المذابح التي تعرض لها اللبنانيون ، وخاصة المسلمون كانت فوق أى احتمال ، قال بلاغ رسمى ، صدر عن أمير دولة الكويت ، يتحدث عما يصفه بالظروف العربية العصيبة مع ماجرى ويجرى على الساحة من تقتيل وتشريد لابناء المسلمين « لذلك أمر سمو امير البلاد بالغاء الاحتفالات المعتادة بعيد الاضحى المبارك .. »

لم تكن الكويت بمفردها التي كتمت فرحتها بالعيد الاسلامى الكبير ، وانتهى العيد ، كان الحزن العربى جماعيا ، يتفاقم خطر الحرب اللبنانية الاهلية ، تمضى السياسة الامريكية منفردة تستغل انعزالية حزب لبنانى لا يعبر الا عن مصالح الصفوة في داخل الطائفة المارونية، وعاش طوال تاريخه مدعوما بقوة عسكرية أجنبية .

من هم الموارنة

ان المـوارنة ، عرب ساميون ، عاشـوا في وادى نهر العـاصى شـمالى سوريا ، كانت لهم حياتهم قبل ظهور الاسلام ، عندما شملت الفتوحات العربية بلاد الشام دخل بعضـهم في الدين الجديد ، استظل الآخرون بسماحة الاسـلام ، واحترامه لاهل الملة ، غير ان كثرة ظهور الطوائف المسيحية في قرونهـا الاولى ، جعلت الموارنة في سوريا ، والذين يرجع تسميتهم بهذا الاسم الى القديس مارون ، قد وجدوا أنفسهم متورطـين في

خلافات عميقة مع بقية الطوائف المسيحية الاخرى التى كانت تعمل بنشاط فى سوريا ، مثل النساطرة واليعاقبة ، عندما شعر المارون فى سوريا أنهم مضطهدون من جانب أخوانهم من الطوائف المسيحية الاخرى نزحوا خلال القرن السابع الهجرى نحو المناطق الشمالية من جبال لبنان ، حيث استضافهم الدروز سكان الجبل .

وفى عهد الاستعمار العثمانى ، انخرط الموارنة كلية كجزء من البنية الاساسية السائدة فى الشرق العربى ، غير انه فى جبل لبنان ، لم يعد تواجدهم ، بمرور الوقت ، مجرد ضيافة على طائفة أخرى عانت مثلها من اضطهاد سابق ، وهى طائفة الدروز ، فقد أصبح للموارنة وجود بساعدت الدول الاوربية المسيحية على ابرازه وتأكيده ، وقامت الحروب بين الموارنة والدروز ، وقعت مذابح طائفية بينهما ، كان اشهرها مذابح ١٨٤٠ ، ثم مذابح عام ١٨٦٠ ، التى دبر لها الفرنسيون ، التى قامت بسبب حمار غلام درزى عض صبيا مارونيا ، من بيت مرى فقامت الحرب بين الطائفتين بعد تدخل فرنسا واشعالها النار بينهما ، تماما نفس الطريقة التى استعارتها بريطانيا بعد سنوات قليلة فى الإسكندرية عندما جعلت من حادث حمار لرجل مالطى فى الاسكندرية سببا مباشرا لاحتلال بريطانيا لمصر .

المهم انه بسبب الحرب الاهلية فى جبل لبنان بين المارون والدروز ، عام ١٨٦٠ تم وضع بروتوكول ظهر عام ١٨٦٤ ، أصبحت لبنان بموجبه خاضعة لما عرف فيما بعد باسم حكم القناصل ، أصبح كل قنصل أوربى فى لبنان يحظى بحماية طائفة لبنانية ، وكان قنصل

فرنسا هو المسئول عن حماية الموارنة ، عندما حاول سلطان تركيا الضعيف ارسال حاكم حازم لاقرار الهدوء فى لبنان بين الطوائف عام ١٨٦١ ، احتجت فرنسا وانجلترا والنمسا وروسيا ، وجعلوا السلطان يرضخ لمطالبهم بضرورة تعيين مساعدين للحاكم التركى ، احدهما مارونى والآخر درزى ، لكى يقوم كل واحد منهما برعاية شئون طائفته ، هكذا تأكدت شرعية القسمة الطائفية فى لبنان ، وتأكد بالتمام نفوذ قناصل الدول الاوروبية الذين يشرفون على هذه القسمة ويعملون على تعميقها ، لتكون هى تاريخ كل لبنان ..

لقد كان النظام الطائفى الذى حرص عليه الموارنة منذ البداية ، هو الاكثر مناسبة لكل الاطراف الاجنبية ، بينما كان هذا النظام نفسه هو الاسوأ بالنسبة لمجمل تاريخ لبنان الوسيط والحديث ..

الكنيسة المارونية

منذ بداية القرن السادس الميلادى ، وحتى منتصف القرن العشرين ، ظل بطريرك الكنيسة المارونية ، يعين مباشرة بقرار من قداسة بابا روما ، ظل الوضع معمولا به حتى عام ١٩٤١ عندما أصدر البابا بندكيستوس الرابع عشر ، قرارا يقضى بثبيت المجمع اللبنانى ، والاعتراف به كهيئة كنسية مستقلة ..

أصبح من حق اساقفة الطائفة المارونية فى لبنان انتخاب البطريرك ، غير أن البابا فى روما احتفظ لنفسه بحق اختيار ٧ من الاساقفة ، يشتركون فى عملية اختيار

البطريرك الماروني،ولم يكن ذلك نهاية الخلاف ، فقد صدر عام ١٩٤٨ قرار وقعــــه بابا روما بيوس الثاني عشر ، بموجبه تم تشكيل لجنة رســولية لمعــاونة البطريرك الماروني ، لأنه كان مريضا ، غير ان القرار شمل في جانب آخر رغبة الـكنيسة الرومانية في تثبيت وضع اللجنة الرسولية ، والاستمرار في عملها حتى بعد وفاة البطريرك ، ظل هذا الجزء من القرار سريا ، لم يكشف عنه الا في عام ١٩٥٢ ، ثار الموارنة للتدخـــــــل في شئونهم ، وتم الاتفاق فيما بعد على الغاء اللجنـــــة الرسولية ، وتم انتخاب البطريرك بولس المعوشي ، كزعيم ديني للطائفة المارونية في لبنان ..

والبطريرك وأتباعه ، مستقلون تماما عن الحـكومة ، يديرون بأنفسهم شئون دينهم ودنياهم ، ولا يعتمـدون على أموال الحـكومة ، لدى الـكنيسـة المارونية أوقاف ضخمة تدر عائدا يـكفي ويزيد ، وللبطريرك نفوذ حاسم في الشئون السياسية اللبنانية داخليا وخارجيا ، كما أن نفوذه لا يستطيع أحد أن يقاومه ، مهما كان موقعه أو شعبيته ، يكفي أن رئيس الجمهورية اللبنانية بمجرد فوزه في الانتخابات التي تعطيه حق حكم لبنـــان بشكل مطلق ، عليه أولا : أن يبدأ عمله في قصر بعبدا ، بالتوجه الى مقر البطـــريرك ، لنوال البركة ، واذا كان رئيس الجمهورية بالضرورة هو ماروني ، وبالتالي فان هــذا التعبير الديني يعتبر مفهوما ومقبولا ، لكن الامر يتعدى ذلك اذا عرفنا أنه من واجب رئيس الوزراء أيضا وهو في العادة مسلم سني ، عليه أن يفعل نفس الشيء ، من واجبه فور فوزه بالترشيح لرئاسة الحكومة أن يذهب

بنفسه للحصول على عطف البطريرك ، ونوال بركته .

لقد أظهرت الكنيسة المارونية فى كل الاوقات ، انها تستطيع اذا لزم الامر ، تحدى سلطات الحكام جميعا فى لبنان ، وانهـا لا تقبل لغيرها حق الوصاية على مستقبل لبنان ، غير انه من أبرز أهدافها دون شك هو حرصها المستمر على تأكيد استمرار الكيان اللبنانى والمحافظة عليه من مختلف الاخطار ، وعندما حاول الشيخ بيار الجميل رئيس الكتائب الضغط على المقر البطريركى لمصلحة أهدافه الحزبية ، قاومه البطريرك ، وانحاز الى جانب كل لبنان ...

تثبيت الوضع الطائفى

لقـد ظـل النظام الطـائفى مستمرا فى العهد العثمانى ، والفـرنسى ، فقد تم وضع أول دستور للبنان ، عام ١٩٣٦ ، وكان وقتها لا يزال تحت وصاية فرنسا ، فى هذا الدستور تم وضع مادتين احداهمـا تعطل الاخرى ، غير أن النتيجة فى الحـالتين كانت واحدة تشير الى تأكيد الطائفية .

بينما كانت المادة ٩٩ تتحدث عن فترة انتقالية مؤقتة لتذويب الفوارق التى كرسها الاستعمار بين الطـوائف اللبنانية ، كانت المادة ٩٥ من نفس الدستور الذى وضعه الفرنسيون تعمل على ترسيخ الفوارق الطوائفية .

لقد جرت ثلاث محـاولات لتعـديل الدستور ، قبل وبعد الاستقلال ، غير أن أحدا لم يقترب من المادة ٩٥ التى تكرس القسمة الطائفية اللبنانية .

حتى الميثـــاق الوطنى ، والذى هو أعلى من كل دساتير لبنان ، لا يميز هذا الميثاق الا أنه يوزع المناصب السياسية والمغانم الدينوية على أساس طائفى ، ابتدعه الموارنة ، لتأكيد امتيازاتهم على حساب بقية الطوائف اللبنانية .

بموجب هذا الميثاق غير المكتوب ، تم تقسيم السلطة فى لبنان ، حصل بموجبه الصفوة من الموارنة على نصيب الاسد ، رافعين شعارا يقول بأنه لابد من تطمين الموارنة الذين يعيشون فى بحيرة عربية اسلامية .. وبرغم أن أصواتا كثيرة أكثر تعقلا من داخل الطائفة نفسها ، كانت تحذر طوال الوقت من خطر استمرار الموارنة كأقليـــة مهيمنة ، محمية من الخارج ، فان أحدا من قادة الموارنة لم يكن يستمع الى نصيحة حتى من داخلهم ، وكانت سياسة الموارنة قد ظهرت بجلاء أكثر بعـد الاستقلال ، عندما اختصوا لانفسهم ، دون غيرهم حتى من داخـل الطوائف المسيحية الاخرى بالوظـــائف العليـا وذات الحساسية الخاصة فى الدولة الجديدة .

كل المناصب لهم ليطمئنوا ...

كان للمـوارنة بالضرورة مناصب مؤكدة ، رئاســة الجمهورية ، رئاسة الجيش ، رئاسة المخابرات العامة ، ويسمونها هناك على طريقة الفرنسيين بالمكتب الثانى ، وللمازون ايضــــا منصب مدير الامن العام ، ومدير الجمارك ، ومدير الجوازات والجنسية ، ومحافظ بنك لبنان المركزى .. الخ

هذه المناصب وغيرها ، من أجل اطمئنان قادة الموارنه الذين كانوا يريدون الاستئثار بحكم لبنان ، تحت دعاوى زائفة لا يوجد لها أساس واقعى أو عقائدى .. حتى عاب عليهم واحد من أبرز مفكريهم عندما اتهم قادة الموارنة بأنهم ، جعلوا الماضى أفضل من الحاضر ، وجعلوا الحاضر افضل من المستقبل ونظروا دائما الى الوراء ، وانغمسوا مرة أخرى فى الحزبيات الجبلية الضيقة ، والانقسامات التقليدية .. وكانت بعض أركان الكنيسة تشجع مثل هذه الاتجاهات ..

لقد شعر مسلم سنى بارز بهذه الهيمنة السياسية ، ذات النزعة الطائفية ، عندما فكر الشيخ كاظم الصلح ، وهو سياسى معتدل ، كيف أصبح حال اللبنانيين أمام جموح الموارنة وحزب الكتائب الذى بدأ يزداد صيته .

قال الشيخ كاظم الصلح هذه العبارة العجيبة التى أصبح اهل لبنان جميعا ، يتندرون بها حتى اليوم ، « وأصبح كل لبنانى ، مسيحى بالبداهة ، مارونى بالضرورة ، مالم يقدم الدليل على انه مسلم .. !! » .

الريبة أساس الحكم

ان عقيدة الموارنة السياسية فى حكم لبنان ، أمر لايمكن فهمه ، يرتبط سلوكهم دائما بالريبة من جانب الطوائف اللبنانية الاخرى ، كان ميشيل شيحا أبرز منظرى القومية المسيحية فى لبنان ، وهو مارونى ، كان يقول بأن مفهومه للبنان ، ينطلق من اطار قومى يضم الجميع،

وأن لبنان يتمتع بذاكرة عربية ، ويستند الى ماض اسلامى عريض ..

هذا الفهم للوضعية الخاصة للبنان ، من جانب منظر مسيحى لبنانى ، هو الذى ساد ، وهو الذى تبتنته لجنة بيروت للاصلاح ، التى تأسست من كل الاتجاهات الوطنية والدينية عام ١٩١٣ ، وهو نفس الفهم الذى قامت على أساسه دولة لبنان بعد الاستقلال عام ١٩٤٣ ، الاساس الايديولوجى للبنان الرسمى ، بتحالفه بين المسلمين والمسيحيين .

غير ان قادة حزب الكتائب المارونى ، كان لهم رأى آخر ، يختلف تماما عن هذا كله ، وحزب الكتائب ترجع خطورة أفكاره الى انه يحتل الساحة السياسية كلها حاليا فى لبنان ، ربما كان ذلك جزءا من القضية ، غير ان موقف حزب الكتائب من وضع الدولة اللبنانية يرجع فى اهميته الى طموح قادة الحزب طوال السنوات العشر الاخيرة : من أن يجعلوا من أنفسهم ، المتحدثين الوحيدين باسم الموارنة وبقية الطوائف المسيحية الاخرى فى لبنان » وهو أمر يظل محل شكوك دائمة ، كما انه يظل أيضا محل شكوى مستمرة ، من جانب المسيحيين الآخرين بمن فيهم قطاعات كبيرة من الموارنة انفسهم .

دستور حزب الكتائب يطالب بالتدخل الاجنبى

يقول دستور حزب الكتائب أن لبنان جزء من البحر الأبيض المتوسط ، ولما كان واقعه يجعله جزءا من البلاد العربية ، فان لبنان يكون بهذه الصفتين ، صاحب رسالة

خاصة أما هذه الرسالة الخـــاصة ، فى فهم حزب الكتائب ، هى كما يلى كما جاء فى دستور الحزب .

« يجب أن تبقى للمسيحيين فى لبنان ، الاغلبيةوالاكثرية فى الحكومة والبرلمان ، فاذا رفض المسلمون السيطرة المسيحية ، فانه يكون لا ملامة على المســـيحيين اذا استنجدوا بدولة أو عدة دول أجنبية » .. !

وقد كانت فرنسا فى الماضى ، هى الام الرءوم ، أما الآن يبدو ان الولايات المتحدة الامريكية قد بدات تمارس دورها باعتبارها الوالد الرحيم .. !!

غير ان الكتائب وحدها هى التى تقول بهذا الاتجاه الذى يعكس رغبتها فى الوصاية على لبنان ، حتى لو لزم الامر الاستعانة بالدول الاجنبية ..

ولقد وجد قادة حزب الـكتائب من يساعدهم على المضى فى هذا الاتجاه فى كل عصر ... سـوف نجـد أيضا ليس من بغريهم على الامعـان فى الانعزالية والرغبة فى السيطرة ، سوف نجد أيضا من كان يعاقبهم عندما تصرفوا فى مرات قليلة من منطلق قومى صرف ، محافظة على كيان لبنان .

فرنسا اصرت على استبعاد الشيخ الخازن كرئيس

ان منصب رئيس الجمهورية مثلا ، لم يكن حكرا على طائفة المارون الى ان وصل مؤخرا الى زعيم كتائبى ، لا يوجد نص فى الدستور يقول بأن الرئاسة هى بالضرورة لمارونى . أيضا الاتفاق الوطنى أو ما يحبون تسميته بالميثاق ، لا يشير الى شىء من ذلك ، الكتائب بمفردها

نيابة عن الموارنة هى التى بدأت تقول بذلك فى وقت متأخر ، وبعد الاستقلال عام ١٩٤٣ ، تم تسليم منصب رئاسة الجمهورية لاول مرة فى لبنان الى رجل أرثوذكسى، وكان ذلك حلا وسطا لانه كان قد تأكد أن يصل الشيخ محمد الخازن ، وهو مسلم سنى الى منصب الرئاسة ، باتفاق المسيحيين والمسلمين ، غير ان فرنسا رفضت هذه السابقة الغير مرغوبة ، تم استبعاد الشيخ الخازن عن المنصب الرفيع ، ومنذ ذلك اليوم لم يفكر المسلمون فى الترشيح له حتى الآن .. ليس لادراكهم أن بقية الطوائف اللبنانية ترفض ذلك ، فقد حدث العكس وتم تأييد ترشيح الخازن ، وكاد أن يفوز ، ولكن المسلمين ابتعدوا عن قصر الرئاسة فى بعبدا منذ بداية الاستقلال ، وحتى الآن ، لان فرنسا أظهرت منذ البداية انها لا تريده من بين فئات المسلمين .

فى أول حكومة بعد الاستقلال ، رأينا أن الرئيس كان أرثوذكسيا ، وأعطيت رئاسة الوزارة لمارونى ، بينما جلس مسلم سنى ، على مقعد رئيس المجلس النيابى .

هذه القسمة الاولى ، لم تستمر ، كانت القسمة يتم تغييرها وفقا لما يعكسه المناخ الطائفى فى البلاد بعد عام ١٩٥٢ كان التوزيع قد تغير لصالح فئة الموارنة دون غيرهم، أصبح رئيس الجمهورية مارونيا ، بتولى الرئيس الاسبق كميل شمعون السلطة وظل حتى عام ١٩٥٨ ، وقد أسلم البلاد لما يشبه الحرب الاهلية ، وعندما حاول تعديل الدستور ليسمح لنفسه بفترة رئاسة ثانية ، انفجرت الثورة ، وتمت الاطاحة بحكم شمعون ، غير أن أفكاره ظلت قائمة دون تقييد ..

لم تكن النتائج التى تمخضت عنهـا الثورة ، كافية لالغاء مثل هذا الامتياز ، أو مجرد تخفيف الطـابع الطائفى لحكم البـلاد ، كان الرئيس فؤاد شهاب الذى خلف شمعون فى الحكم ، قد أمضى طوال فترة حكمه ، فى محاولات مستمرة لتسكين الاوضاع الملتهبة ، غير أن احدا لم يـكن مخلصا بالقـدر الـكافى لقضية ازالة الطائفية ، وابعاد سيطرتها على جهاز الحكم .

وبدخول الفلسطينيين بأعداد كبيرة الى لبنان بعـد خروجهم من الاردن ، عـام ١٩٧٠ أصبح الموازنة ، فى وضع يبرر لهم اظهار قلق أكبر على وضعهم المتميز فى لبنان ، لان الفلسطينيين جرى تصنيفهم لصالح المسلمين، وبالتالى سوف نجـد تاريخ حزب الـكتائب طـوال السبعينات ، يدور أساسا حول مقاومة الفلسطينيين الذين وصفوهم بالغرباء ، وطالبوا بطردهم ، واستعانوا عام ١٩٧٥ ابان الحرب الاهلية الثانية ، بأكثر من جهة اجنبية لقتل الفلسطينيين ، وطردهم ، وكانت اسرائيل والولايات المتحـدة الامريـكية على مقربة من هـذه الاحداث ، تمد ميلشيات حزب الكتائب بالدعم المـادى والعسكرى والتأييد السياسى .. !!

لا رئيس ولا مجلس نيابى عند الغزو الاسرائيلى

عندما كان الوقت مناسـبا للغـزو العسـكرى الاسرائيلى للبنان صيف عام ١٩٨٢ ، وكانت لبنان فى الحقيقـة دون رئيس ، لان الرئيس سركيس كانت مدة حكمه القانونية قد انتهت منذ سنوات ، وكان يجرى

تمديد فترة حكمه باتفاق الاطراف اللبنانية والاجنبية ، بحجة ان ظروف الحرب الاهلية لا تسمح بترف انتخاب رئيس الدولة .

كذلك كان المجلس النيابى اللبنـــانى شبه معطل فى اللحظة التى بدأ فيهـــا الغزو الاسرائيلى للبنان ، كان مجلس النواب قد تم انتخابه عام ١٩٧٢ ، عندما جاء اليهود كان المجلس قد مضى على وجوده ١١ عاما كاملة ، كان قد فقد فترة تمثيله الدستورية ، أعطيت له فترة تمثيلية ثانية لان الحرب الاهلية تمنع اجراء انتخابات ، كان ٦ من أعضاء المجلس قد ماتوا اما فى الحرب الاهلية، أو ماتوا بسبب الشيخوخة ، غير أن أحــدا لم يحـل مكانهم لانه كان ايضا من المستحيل اجراء انتخابات فى الدوائر التى مات ممثلوها ، وعنــدما كان على مجلس النواب أن يختار رئيسا جديدا للبنان ، بعد أن دخلت القوات الاسرائيلية بيروت ، وانتهى الامر . كان المجلس النيابى ، فى وضع لا يحسد عليه ، المبنى نفسه لا يصــلح للعمل فقد هدمت صواريخ الحرب الاهلية أركانه ، اعضاء لا يمثلون أنفسهم ، من مات منهم لم يستبدل بغيره ، رئيس المجلس يرفض الذهاب الى عمله الا بحراســة مشددة فى داخل عربة مصفحة ، ويصر على دخول حرسه الخاص معه الى حيث توجد منصة الرئاسة ، فى قاعة مجلس نواب لبنان ، عندما تدخلت الولايات المتحــدة الامريكية واسرائيل لاجراء انتخابات الرئاسة ، عقـــب الاحتلال الاسرائيلي لبيروت ، كان الاعضاء يحضرون الى الجلسة التاريخية تحت مختلف الضـــغوط وبالاكراه الشديد فى حراسة مشددة ، من خلال شوارع معينـــة

تسيطر عليها القوات الاسرائيلية ، وتم عقد الجلسة التاريخية فى فيللا مهجورة فى احدى ضواحى بيروت : وكان الرئيس المتفق عليه ، هذه المرة ، هو أول كتائبى بارز يصل الى قصر الرئاسة ، وهو المرحوم بشير الجميل الذى تم اغتياله قبل توليه السلطة رسميا بأسبوع واحد .

وتم هدم المبنى الرئيسى لحزب الكتائب ، حيث كان بشير يعقد اجتماعا حزبيا يضم ضباط ميلشيات الكتائب . .

وبوفاة بشير ابن الشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب أظهر الحزب مزيداً من العدوانية ، على النطاق الشعبى ، رغم اختيار كل الفئات اللبنانية تقريبا لشقيق المرحوم بشير الجميل ، ليكون رئيسا لجمهورية لبنان ، وهو الذى حدث بالفعل ، باختيار الرئيس الحالى امين الجميل ، لكن حزب الكتائب كان قد عقد العزم على الانفراد التام بكل حكم لبنان ، مستعينا بكل ما يجده أمامه من وسائل بما فى ذلك تصفية خصومه السياسيين ، سواء كانوا من داخل الفئات المسيحية نفسها ، أو طوائف المسلمين . وبدأ حزب الكتائب يسيطر على الحياة السياسية والعسكرية فى البلاد ، وأظهر الشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، ووالد رئيس الجمهورية ، ميلا واضحا لتأكيد سلطان حزبه على مجمل الاوضاع اللبنانية بالقوة المسلحة ، مستعينا بالقوات الاجنبية اذا لزم الامر لتنفيذ اهدافه . . . !!

ان التكوين الداخلى لحزب الكتائب ، وطريقة نشأته ، ونمو عقيدته ، الى جانب امتياز الحزب بأنه

ربما كان الحزب الوحيد فى المنطقة ، الذى بدأ يمارس نشاطه منذ عام ١٩٣٦ وحتى الآن ، وهو يحتفظ برئاسة واحدة ، ان مؤسس الحزب عام ١٩٣٦ هو الشيخ بيار الجميل ، ما زال يحتفظ لنفسه بميزة التأسيس ورئاسة الحزب حتى اليوم ...

طبع الشيخ بيار الجميل حزب الكتائب بطابعه الخاص ، وجعله بمثابة حزب عائلي خاص ، يتمتع فيه وافراد أسرته بالمناصب العليا الثابتة .

والشيخ بيار ـ ٧٨ سنة ـ هو والد الرئيس الحالى أمين الجميل ، وكان ابنه الاول بشير رئيسا لميلشيات حزب الكتائب ، قبل أن يتولى منصب رئاسة الجمهورية لعدة أيام كما أن قائد ميلشيا الكتائب الحالى ، هو فادى افرام ، زوج ابنة الشيخ بيار الجميل .

وبعد وفاة المرحوم بشير ، أصبحت زوجته تحتل نفوذا داخل الجناح العسكرى والمكتب السياسى لحزب الكتائب ، يوازى نفس النفوذ الذى كان يتمتع به زوجها داخل الحزب ، قبل وفاته ، ولما كان بشير قد عرف بالتشدد ، والرغبة فى تصفية خصومه بكل الوسائل ، فقد حافظت زوجته على كل هذه الاتجاهات داخل الحزب ..

ويشكل الشيخ بيار الجميل حاليا ، مع فادى افرام ، زوج ابنته ، والسيدة أرملة ابنه بشير ، يشكلون معا ثالوثا قويا يسيطر ليس على مقدرات حزب الكتائب ، فقط ، وانما يسيطرون الآن على المسار الذى يتخبط فيه حاليا تاريخ لبنان .

هكذا أصبح الحديث عن حزب الكتائب ، أمرا لا مفر منه ، بعد أن انعكست سياسات حزب واحد ، ليس داخل اطار طائفة واحدة هي المارون ، ولكن اتسعت سياسات الحزب لتشمل مجمل الأوضاع في لبنان .

قام الشيخ بيار الجميل بتأسيس حزب الكتائب عام ١٩٣٦ ، ابان الاحتلال الفرنسي للبنان ، وقد اختار الشيخ للحزب اسما أجنبيا هو الفلانج ، تيمنا باسم حزب الفلانج الاسباني الفاشيستي ، الذي حكم فرانكو من خلاله أسبانيا ، كان الشيخ بيار معجبا بالاحزاب ذات الطبيعة الفاشية التي كانت سائدة في أوربا خلال ذلك الوقت ، كان حزب النازي في ألمانيا ، والفلانج في اسبانيا وفي ايطاليا كان موسوليني يحكم قبضته على ايطاليا عن طريق حزبه الفاشي ، في هذا الاطار أراد الشيخ بيار لحزبه أن يكون ..

كان الشيخ بيار حريصا على عدة أشياء ، خلال تكوينه للحزب الذي كان يجب تدريب كوادره على العمل العسكري في فرنسا ..

كان حريصا أن يكون الاعضاء في سن الشباب ، حتى يمكن تدريبهم عسكريا ، وتلقينهم أفكاره السياسية ، لتكون معتقدا لهم .

كان حريصا أن يتم الاختيار من داخل طائفة المارون فقط ، وان كان برنامج الحزب يقول انه لا يتقيد بالطوائف خلال تكوينه الاول ، حتى انه يقال بأن ألفين من المسلمين الشيعة قد طلبوا الانضمام الى الحزب في منتصف الخمسينات ، غير أنه فيما بعد انصرفت الشيعة واغلق الحزب أبوابه أمام الجميع الا الموارنة ،

وحتى من داخل هذه الطائفة فان اختيار العضوية كان يخضع لعدة عمليات معقدة ، من الاختيار الى التلقين الى التدريب ، حتى يمكن فى النهاية قبول العضوية التى تتم وفقا لمراسم خاصة ، تنتهى باحتفال رسمى يحضره رئيس الحزب نفسه وأعضاء المكتب السياسى ، ويقف العضو الفائز بعضوية الكتائب ، ليؤدى قسما ، وبعدها يضع شارة الحزب على صدره ، ويسمح له بارتداء الزى الرسمى لافراد الحزب ، حتى يكون مميزا عن غيره ، وبعدها يخضع العضو مباشرة لتنفيذ كل التوجيهات ، وكافة المهمات التى يكلفه الحزب بها ، بما فى ذلك من قتل الافراد ، ونسف المبانى ..

لم يتم الاعتراف بالحزب كمؤسسة قانونية الا فى ديسمبر عام ١٩٤٣ بعد اعلان الاستقلال ، وكان قد صدر قبلها قانون يحرم وجود التنظيمات السياسية ذات الصبغة العسكرية ، الا أن نفوذ قادة حزب الكتائب مكنهم من تعطيل هذا القانون ، بعد ثلاثة أيام فقط من اصداره ، وتم منحهم رخصة الوجود الشرعى كحزب سياسى له طبيعة عسكرية .

وقد انضم الى الحزب حوالى ٥٠ الفا كلهم من الموارنة كما ينتسب اليه ٥٠٠٠ من المغتربين الموارنة فى المهجر ، خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ، والبرازيل والارجنتين وبعض الدول الافريقية التى كانت خاضعة للاستعمار الفرنسى .. وهؤلاء المغتربون يشكلون قوة حقيقية فى تكوين الحزب ، وبروز معتقداته الى جانب انفاقه السخى على تدريب أعضائه ، وانشاء جهاز اعلامى هام ، وسوف نجد أن للحزب جريدته الرسمية ، كما

انه يستمتع أيضا باذاعة خاصة ، تنافس اذاعة الحكومة اللبنانية ، وبعد الغزو الاسرائيلي للبنان ، اصبحت اذاعة الكتائب واحدة من أهم الاذاعات الرئيسية في الشرق الاوسط كمصدر للانباء ..

وللحزب ٢٠٠ فرع داخل لبنان ، كما يوجد له ٥٠ فرعا في دول المهجر ، لعل أهمهـا فرع الكتائب في نيويورك ، الذي نظم عام ١٩٨٠ مؤتمرا شاملا للموارنة ، تحت اشراف الحزب ، ولاهمية القرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر ، والتي توضح طبيعة تفكير حزب الكتائب ، لا بأس من الاشارة اليها في ايجاز ... باعتبارها من مكونات العقيدة السياسية لحزب الكتائب .

لقد أعلن أمين عواد ، رئيس الاتحاد الماروني العالمي ، ورئيس فرع حزب الكتائب في نيويورك ، وهو الذي أشرف على أعمال المؤتمر ، أعلن أنه يوجد قرارات سرية لن يعلن عنها ، أما عن الجوانب الاخرى التي يجب على الجميع معرفتها ، هي أن مؤتمر الموارنة قد اتفق على ما يأتي :

● تأسيس جناح عسكري يتولى تنظيم جيش ماروني عالمي ، له فروع في كافة الدول التي بها جاليات مارونية .

● تأسيس صندوق للجباية ، يساهم فيه كل الموارنة للدفاع عن الامة المارونية .

● تنقية الشخصية المارونية من العرب ، ووضع لغة جديدة للبنان تكتب بحروف لاتينية ..

● عدم اندماج الموارنة مع الطوائف الاخرى وتأسيس دولة الموارن ..

● تأسيس جهاز خاص يقوم بتصفية العناصر المارونية المناهضة لهذه الاتجاهات ...

● مطالبة الامم المتحدة الاعتراف بحقوق الشعب المارونى .

● النضال ضد الفلسطينيين والسوريين ..

تنظيمات الحزب ومؤسساته

يتكون الهيكل الاساسى لتنظيم حزب الكتائب من ٣ هيئات رئيسية ..

الهيئة الاقليمية والهيئة الادارية والثالثة هى الهيئة السياسية ..

وينقسم الحزب الى ١٦ أمانة نوعية ، تسمى كل واحدة فرعا ، ومهمتها جميعا تنظيم الشئون الداخلية للحزب ، مثل أمانة الانتساب وهى المختصة بشئون العضوية ، وأمانة الشئون العقائدية ، وأمانة الدعاية وهى تشرف على جريدة الحزب واذاعته ، وامانة المرأة ، وأمانة الشئون المالية ... الخ .

ويبدأ الحزب من أدنى مستوياته التنظيمية فى القرية ، ولكل قرية توجد فرقة ، وفى المدن الكبرى مثل بيروت ، توجد لكل دائرة انتخاب فرقة مستقلة .

والفرقة على مستوى القرية تتكون من ثلاثة : رئيس ونائب وأمين للصندوق .

وللدائرة الانتخابية فى المدينة نفس التشكيل يضاف اليه مسئول للشئون الانتخابية ..

تتجمع الفرق فى دوائر ، تديرها لجنة اقليمية تضم نفس التكوين ، يضاف اليهـــا عضو يختص بالشئون الاجتماعية .

وتتجمع كل فرق القرى فى داخل لجنة اقليمية .

أما الفرق الموجودة فى بيروت ، فكلها تتجمع لتخضع مباشرة للهيئة الادارية للحزب .. ولرئيس هذه الهيئة الاشراف المباشر على كل أنشطة الحـــزب فى الظروف العادية ، غير أن رئيس الحزب نفسه هو الذى يتولى كل الاختصاصات ، فى ظل الظروف غير العادية .

ولما كانت ظروف لبنان ، منـذ عام ١٩٥٨ ، وحتى الآن ، تعتبر غير طبيعية فقد تولى الشيخ بيار الجميل بنفسه كل الصلاحيات التنظيمية والعقائدية والتوجيهات السياسية داخل حزب الكتائب ، وحتى هذه اللحظة التى تطلق فيها ميلشيات حزب الكتائب قذائفها فى كل مكان يوجد فيه خصوم للحزب داخل لبنان ...

يأتى المكتب السياسى ، كأعلى سلطة فى الحـزب ، هو المهيمن على كل شئون الكتائب ، يضع منهاج عمله ، يضع أنظمته ، يعين الموظفين ، يقر ترشيحات الاعضـاء الجدد ، ثم له أن يصدر ما يشاء من قرارات ، وعلى كل اطارات الحزب ، الطاعة التامة ، والتنفيـــذ الدقيق وقرارات المكتب السياسى ، كلها سرية .. !؟

ويتـــكون المكتب الســـياسى من ٥ أعضاء الى جانب رئيس الحزب ، الذين يتم اختيارهم جميعا عن طـريق الانتخابات ، ورئيس المكتب السياسى يتم انتخـابه كل ثلاثة اعوام ، ولكن الرئيس الحالى الشيخ بيار ظل يحتفظ بالرئاسة طوال تاريخ الحزب .. منذ تأسيس الحـزب

عام ١٩٣٦ ، وحتى شتاء عام ١٩٨٣ تاريخ اصدار هـذا الكتاب ، وسيظل .

أما الاعضاء الخمسة فيتم انتخابهم كل عامين قابلة للتجديد ..

الى جانب رئيس الحزب ونائبه ، وأمين الحزب ، الذين يشكلون رئاسة المكتب السياسى ، يوجد أيضـا وزراء الحزب المشتركون فى الحكومة ، هؤلاء لهم حق حضور جلسات المكتب السياسى للحـزب .. كذلك يحصل نواب الحزب الحاليون والسابقون على هذا الحق، ويأتى فى النهاية مستشارو الحزب ولهم أيضا حق حضور جلسات المكتب السياسى الذى يتسع وينكمش حجمه طبقا للمناخ السياسى السائد فى لبنان ، والحجم الذى يحصل عليه حزب الكتائب داخل اللعبة السياسية .

يوجد أيضا المكتب المركزى او اللجنة المركزية لحزب الكتائب ، وهى بمثابة المرجع الاعلى لشئون الحـزب ، ويتكون من أعضاء المكتب السياسى ، واللجنة الاقليمية واجتماعاته أسبوعية ، وله حق تقديم اقتراحات ، ودعوة المكتب السياسى للانعقـاد ، وهو الذى ينتخب رئيس الحزب والاعضاء الخمسة فى المكتب السياسى ..

ويوجد مؤتمر سنوى للحزب ، موضوعه الاسـاسى كل عام ، مناقشة مخاطر التوسع العربى .. !!

بالنسبة لعقيدة الحزب ، تم التعرف عليها من خلال الحديث عن نشاطه ، لا بأس من الحديث مرة أخرى ، عن مجمل معتقدات الكتائب فى ايجاز :

لبنان هو لبنان ، فيه من الشرق روحانيتـه ، ومن

الغرب ثقافته ، وكل من يحاولون الصاق العروبة بلبنان، هم فى الحقيقة يزعجون لبنان .. !!

يجب أن تكون كل الوظائف الرئيسية فى البلاد ، فى أيدى الموارنة ، والحل البديل اذا لزم الامر هو تقسيم لبنان ..

لبنان جزء من البحر المتوسط ، وهو بلد مستقل بحدوده ، وقوميته متميزة .. وشعار الحزب « الله — الوطن — العائلة » .

حزب الكتائب يعتبر نفسه مسئولا عن اخراج الفلسطينيين

وقد تزايدت انعزالية حزب الكتائب ، وتخوفه من الطوائف الاخرى ، ومحاربته للعرب والمسلمين ، ظهر هذا كله على فترتين . الاولى بعد ضياع فلسطين وتدفق اللاجئين على أراضى لبنان ، وبقية أراضى الدول العربية الاخرى .

المرة الثانية ، بعد عام ١٩٧٠ ، وبسبب الفلسطينيين أيضا ، بعد تدفق اعداد كبيرة منهم من الاردن الى لبنان، بعد مواجهة سبتمبر ١٩٧٠ بين الاردنيين والفلسطينيين .

وقد اعتبر حزب الكتائب نفسه مسئولا مباشرا عن اخراج الفلسطينيين من لبنان ، وبدأ الحزب فى تقوية جناحه العسكرى ، وعمل على تزايد عناصر المتطرفين فى داخله ، وضم الى ميلشياته كل الضباط الموارنة المتقاعدين وحراس الارز ، وجبهة كسروانى واختار الحزب ، المواجهة العسكرية مع خصومه السياسيين من داخل

طائفة المارون نفسها ، ودخل حربا مع حزب كميل شمعون، ودخل حربا مع جماعة سليمان فرنجية ، وتم اخضاع كافة الاطراف المارونية لسلطة حزب الكتائب بالقوة المسلحة ، وحادث النسف والاغتيال .. وعندما دخلت القوات الاسرائيلية غازية لبنان قبل عامين ، كان حزب الكتائب تقريبا هو المتحدث الوحيد باسم كافة الفئات اللبنانية ، مسلمين ومسيحيين ..

عندما حصل الحزب على المكافأة ، لم يكن فى داخل لبنان بكل ما يختلط فيه من تيارات وطوائف ، من يقود معارضة تذكر ضد رئاسة بشير الجميل للبنان ، بالعكس كانت كل الاطراف اللبنانية متفقة تماما على ترشيح الرئيس الحالى أمين الجميل ، فور الاعلان عن اغتيال شقيقه بساعات معدودة ...

لماذا لم يحافظ حزب الكتائب ، على رصيد الثقة الذى فاز به خاصة بعد الظروف التى بسببها دخل أمين الجميل قصر الرئاسة ، لماذا قامت الحرب الاهلية من جديد ، لماذا لجأ الحكم الى نفس الخطأ الذى وقع فيه الرئيس الاسبق كميل شمعون ..

لقد انتشر فى لبنان طوال شهرى سبتمبر واكتوبر عام ١٩٨٣ ، وعلى نطاق واسع ، أن الامريكيين وغيرهم ، على استعداد لتقبل ظهور نوع من الانقلاب الابيض فى لبنان ، وان التضحية بحكم حزب الكتائب المتفرد للبنان ، أصبح امرا مقبولا .

بمعنى آخر ، هل يتعرض لبنان الكتائب عام ١٩٨٣ لما تعرض له لبنان ـ كميل شمعون عام ١٩٥٨ .

وهل يتوقع الناس ، بروز شخص جديد على طريقة فؤاد شهاب لانقاذ ما يمكن انقاذه ..

لعل المأزق الذى يقف فيه حزب الكتائب حاليا ، هو نتاج ميراث طويل لجماعة المارون فى لبنان منذ قرون طويلة ...

كانت بداية فكرة بناء وطن قومى للمسيحيين فى الشرق ، قد ظهرت مع بداية الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى :

عادت الفكرة الى الظهور مرة أخرى خلال القرن الثامن عشر ، مع ظهور نابليون ، الذى انهزمت عساكره فى الشرق ، الا انه ترك فى لبنان مؤسسات تبشيرية ومعاهد ثقافية ، ودور طباعة ، وصحيفة ، مما أبرز وعيا طائفيا فى لبنان .

الموارنة أرباب الحكم الفرنسي والثقافة الفرنسية

قبل مجىء نابليون ، كان الموارنة فى لبنان ، قد تأثروا لعدة قرون بالطابع التبشيرى الفرنسى ، أصبح الرباط عضويا بعد أن أعلنت فرنسا محاباتها للمارون ، ثم بعد أن دخلت جيوشها أراضى لبنان فى النصف الثانى من القرن العشرين ..

لقد أتاحت فرنسا للموارنة ثقافة خاصة لم تقدمها لغيرهم من الطوائف اللبنانية ، وخصتهم فرنسا بالوظائف الكبيرة ، وقدمت لهم كافة المساعدات الاقتصادية التى جعلت من الموارنة فى أعلى طبقات السلم الاجتماعى فى لبنان ...

ان الشيخ بيار الجميل ، يعرض أحيانا هذا الوضع المتميز للطائفة باعتباره يكسبها حقا فى حكم لبنان ، يقول ان أكثر من ٨٣ ٪ من واردات لبنان ، يستهلكها الموارنة ، ولما كانوا بهذه الصفة هم أكبر قوة مستهلكة ولولاهم لاغلقت أسواق لبنان أبوابها يكون من حقهم حكم لبنان .. !!

وهو تعليل كما نرى ليس فى صـــالح الموارنة بأى بأى حال ...

وجامعة سان جوزيف ، هى أقوى المؤسسات التعليمية فى لبنان ، وأكثرها قدما ، ولها مدارس مختلفة فى كل أنحاء لبنان ، ولكل مراحل التعليم ، وكلها مخصصة للموارنة .. لذلك فان انحياز الموارنة ، دون بقية الطوائف المسيحية الاخرى ، الى جانب فرنسا يعد أمرا طبيعيا ..

لقد سافر البطريرك المارونى ، الياس الحويك ، الى فرنسا عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى فورا ، وكان سبب سفره مطالبته فرنسا بالاسراع الى لبنان كدولة انتداب .. فى نفس الوقت كان بطريرك الروم الارثوذكس فى لبنان ، جريجوريوس ، يسرع بالســفر الى سوريا لتوديع فيصل فى درعا .

لذلك لا تحب فرنسا طائفــة الروم الارثوذكس فى لبنان ، كما أن أفراد الطائفة يتبادلون مع فرنسا نفس المشــاعر ، انهم يفضــلون العروبة ، ويفضلون جامعة دمشق ، ومدارس سوريا لكى يتعلم فيها أبناء الطائفة .. وهم مع العروبة فى كل قضاياها منذ قرون طويلة ..

لقد كانت المحــاباة الفرنسية للموارنة طوال القرون سببا مباشرا جعل قادة هذه الطائفة فى خصام دائم

مع الطوائف اللبنانية الاخرى ، ثم جعل أنظارهم تتعلق بالسطوة والحكم بمساعدة أجنبية اذا لزم الامر ..

اذا قرأنا بعضا من محتويات رسالة وجهها لويس التاسع لموارنة لبنان منذ عدة قرون يمكن أن نفهم لماذا يشعر الموارنة بالغربة ..

« يقول ملك فرنسا فى رسالته انه يعتقد ان هذه الامة التى قامت تحت اسم القديس مارون ، هى قسم من الامة الفرنسية ، لان محبة الموارنة للفرنسيين ، تشبه محبة الفرنسيين بعضهم بعضا » .

ثم يأتى لويس التاسع الى ما هو هام فى رسالته ، فيقول انه من العدل أن يتمتع موارنة لبنان بنفس الحماية التى يتمتع بها الفرنسيون أنفسهم .

يختتم لويس التاسع رسالته للموارنة بتأكيد جاء فيه : « نحن ، وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسا، نعد اننا نوليكم حمايتنا الخاصة » .

يبدو أن الوعد الملكى كان صادقا ، لانه فى زمن لويس ١٤ خرجت رسالة مماثلة موجهة الى الموارنة يقول فيها :

« نحن لويس بمشيئة الله ، ملك فرنسا ، بنصيحة الملكة الوصية أمنا الشريفة ، نضع حمايتنا ورعايتنا الخاصة ،، للموارنة الذين يعيشون ويعملون فى جبل لبنان .. » .

« اننا نعهد الى قناصل فرنسا فى سوريا ، أن يظهروا كل عون ومودة فى طاقتهم للموارنة وأن يساعدوا على ركوب السفن ، كل مارونى يريد السفر الى

الاراضى المسيحية للدرس أو العمل ، دون تقاضى أية رسوم ، وان يعاملوهم بمنتهى الرقة » .. !!

كانت هذه رسائل ملوك فرنسا - عندما كانت فرنسا قوة كبرى ، الآن تاتي رسائل مماثلة من جانب القوة الكبرى فى هذا العصر ، تاتى رسائل يومية من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، تحمل طابع العصر ، لا تتحدث هذه المرة عن تمكين فئة على حساب فئات اخرى ، انما تتحدث بطريقة مقبولة عن ضمان أمريكى موثق فى مساعدة الحكم الشرعى للبنان ، وهو حاليا لحزب الكتائب ، حتى لو انتهى الحال بضرب بقية الطوائف اللبنانية بمدافع الاسطول الامريكى الرابض على شواطىء لبنان ، نفس الموقف الفرنسى التقليدى القديم ، لكن امريكا تقدمه حاليا بطريقة عصرية ... !!

رئيس الجمهورية فوق الدستور وفوق المؤسسات

ان قضية الحكم فى لبنان ، رغم كافة الواجهات السياسية والحزبية والطائفية ، والواجهات الديمقراطية، قضية الحكم في لبنان يحددها رجل واحد فقط ، هو رئيس الجمهورية ، هو كل شىء لانه فى بساطة فوق الدستور ، وفوق المؤسسات ، يكفى ان له حق عقد المعاهدات دون استشارة أحد ، أو تبليغ أحد اذا لزم الامر ، هو الذى يعين الحكومات ويقيلها ، هو الذى يحفظ التوازن داخل مجلس النواب ، هو الذى يعود اليه كل شىء فى حكم لبنان، لذلك فان سياسة لبنان الداخلية والخارجية يقررها رئيس الجمهورية بمفرده ، الكل يوافق فيما بعد ، أو لا يوافق لا يهم .. ولم يحدث فى

تاريخ لبنان الحديث أن تولى رئاسة جمهوريتها رجل انهى مدته الدستورية ورحل دون ثورة ، أو حرب اهلية ، لماذا لان الرئيس هو جماع كل شيء ، وكل غضب شعبي عندما يتجمع في النهاية ، يكون هدفه الاخير هو ضرب قصر الرئاسة بالقنابل والصواريخ ..

ان الرئيس الكتائبي الحالي أمين الجميل في وضع لا يحسد عليه ، حتى لو كانت لديه النوايا الحسنة ، فان تراكمات حزب الكتائب تحد كثيرا من حريته في الحركة ، انه أمام خيارين ، اما ان يكون رئيسا لكل لبنان ، وهو ما اتفقت عليه كل طوائف لبنان في بداية حكمه ، وأما أن يختار ما يريده له قادة حزب الكتائب ، وهو معروف .

بين أن يكون لبنان للجميع ، وبين أن يكون لبنان كتائبيا يقف رئيس جمهورية لبنان حاليا . ينتظر ماتخفيه الاقدار ، غير أنه دون شك يعرف ان النظام الدولي يعتمد على توازن القوى ، ربما يكون ذلك هو افضل شبه للنظام السياسي المعمول به تقليديا في لبنان، بتعدد أصحاب الادوار ، تستمر اللعبة السياسية ، غير أن أحدا يصعب سيطرته على النظام بمفرده .

ان التوازن ليس داخليا في لبنان فقط ، انه توازن اقليمي ، كما أنه يحمل أيضا طابع التوازن الدولي ..

ولما كان رئيس جمهورية لبنان ، يتمتع بصلاحيات ربما لا يحوزها نظير له في المنطقة كلها ، فان مسئوليته ستكون مباشرة أمام الاجيال القادمة ، عن مصير اللبنانيين الذين بدأوا مسيرة اللاجئين بالفعل ، والعرب يعرفون كيف تبدأ طوابير اللاجئين ، لكنهم لا يعرفون كيف تنتهي .. !!

اسرائيل والكتائب

اظهرت اسرائيل والكتائب ، مودة متبادلة ، قبل غزو لبنان ، وبعد الغزو ، غير انه بعد اغتيال الشيخ بشير الجميل زعيم الكتائب ، ورئيس جمهورية لبنان الاسبق ، كانت اسرائيل من بين الاطراف التى أشارت اليها بعض الاصابع الكتائبية ، بأنها لم تكن بعيدة عن حادث الاغتيال الذى تم التدبير له بعناية ، هكذا كانت بداية الشكوك المتبادلة بين الكتائب واسرائيل ، عقب الاحتلال العسكرى الاسرائيلى لبيروت فى يونيو ١٩٨١ .

كذلك كانت الرعاية الخاصة التى يتمتع بها الرائد المارونى المنشق سعد حداد فى جنوب لبنان ، الذى تسيطر عليه اسرائيل عسكريا ، كان هذا العطف الخاص الذى يتمتع به حداد من جانب القادة الاسرائيليين ، سببا آخر للتوتر بين الجانبين ، وعندما طلبت اسرائيل خلال اغسطس ١٩٨٣ خروج ميلشيات الكتائب واغلاق مكاتبها ومبانيها العسكرية جنوب خط نهر الاولى فى جنوب لبنان الذى تسيطر عليه اسرائيل ، او أن يقوم أفراد الكتائب بتسليم انفسهم ومعداتهم ومقارهم للرائد سعد حداد ، قامت مظاهرات أعد لها الكتائبيون ، طافت فى بعض شوارع صور وغيرها ، تحمل لافتات تحمل عبارات تتهم الاسرائيليين بنكران الجميل .. وفى أوائل أكتوبر ١٩٨٣ ظهر أن سعد حداد مريض بالسرطان ، ويعالج فى أحد المستشفيات العسكرية فى حيفا داخل اسرائيل ، وسعد حداد مارونى أيضا ، حظى منذ بداية ظهوره بعطف قادة الكتائب ، كما وصفه كميل شمعون بأنه قائد كفء ،

ومواطن طيب ، غير أن حداد المريض ، أعلن عدم قدرته على مواصلة دوره داخل جنوب لبنان ، وأعطى صـــلاحياته لضابط من مساعديه برتبة ملازم ، وهو مارونى أيضا ، وبدات اسرائيل تعد لتوزيع اختصاصات سعد حداد على عناصر مارونية أخرى فى الجنوب ...

***

عندما اشتدت المعارك فى جبل الشوف ، بين الكتائب والدروز ، وتم اغلاق قرية دير القمر ، حيث توجد اغلبية مسيحية ، تدخلت القـــوات الاسرائيلية لتفتح الطـريق لدخول القـــرية ، وهى بادرة اسرائيلية تتم لصالح ميلشيات الكتائب على حساب الدروز ، وأعلنت اسرائيل أنها لن تشغل نفسها بالصراع بين الطائفتين ، غير أن اسرائيل شجعت الكتائب على تأكيد سلطتها ، وانتشـــارها فى الاماكن التى تنسحب منهـــا قـــوات اسرائيل ...

وتعتقد اسرائيل انه أصبح من واجب الولايات المتحدة الامريكية وحدها مســـاعدة الـكتائبيين فى التغلب على الصعوبات التى تواجههم ، غير أنه بعد شهرين ، وفى ديسمبر ١٩٨٣ تكفلت قوات اسرائيل بفتـــح قـــرية دير القمر بجهود امريكية ، وموافقة الدرزية ، وجـــرى ترحيل الفين من ميلشيات الكتائب ، كانت محاصرة فى دير القمر ، وتم اخراجها بواسطة سيارات عسكرية اسرائيلية.

كذلك كان الموقف الرسمى الاسرائيلى حاســـما فى الصراع بين الدروز وميلشيات الـكتائب ، فقد طالبت دروز لبنان بعدم الاستعانة بالفلسطينيين فى اى شىء ،

وعدم استخدام سلاحهم ، وطردهم من المنـــاطق التى يسيطر عليها الدروز ، ان المطالبه بحرمان الدروز من حليف طبيعى ،، يتم تقديمه بالطبع هديه لحزب الكتائب، كما طلبت اسرائيل أيضا عدم تعاون الدروز مع السوريين الذين يقفون حاليـا فى الصف المعـارض لمنح الـكتائب سلطات مطلقة فى لبنان ، وقد اضطر الدروز فيمـا بعد ، وبسبب الضغوط الاسرائيلية ، الى الابتعـــاد عــــن الفلسطينيين ، بل ومطالبتهم مغادرة مدينة طـرابلس ، ومغادرة كل لبنان ..

وهكذا تكون اسرائيل قد انحازت عمليـا الى جانب الكتائب ، وأرادت شل حركة الدروز ، ان كل ما تذيعه اسرائيل عن ضغوط تتعرض لها من جانب الدروز الذين يعيشون داخل اسرائيل لا يحمل الا جانبا دعائيا فقط ، لانه من غير المقبول أن تساعد اسرائيل دروز لبنان الذين يطالبون بالغـــاء الاتفـــاقية الاسرائيلية ــ اللبنانيــة ، وانسحاب كل قوات اسرائيل من كل أراضى لبنان ، الى جانب وضع نظام سياسى شامل فى لبنان ، لا تـكون الغلبة فيه لحزب الكتائب بصفة خاصة ..

لقـد وصل الحال فى منتصف سبتمبر ١٩٨٣ ، ان راجت شائعات رددتها الصحف الغربية ، تتحدث عن احتمال لجوء قيادات حزب الكتائب المارونى ، الى الضغط على الرئيس أمين الجميـل ، لابرام معاهدة أمن مــع اسرائيل ، كوسيلة لتخطى العقبات المتزايدة التى تواجه الكتائب فى صراع السلطة ضد بقية الفئات والطـوائف اللبنانية جميعا .. وهو أمر مشكوك فيه على أى حال ولا يستطيع الرئيس الحالى تنفيذه .

الحرب تتسع ويتزايد اعتماد الكتائب على أمريكا

ان المبعوث الامريكى ماكفرلين ، ومن سوف يخلفه فيما بعد ، يعمل دون شك فى الاتجاه الصحيح ، من وجهة النظر الامريكية الراهنة ، لكن الحرب الاهلية تتسع دائرتها كل يوم ، ويزيد اعتماد الكتائب كل يوم على المعونة العسكرية والاعلامية التى تأتى من جانب الولايات المتحدة الامريكية ؛ يبدو أن السيد ماكفرلين لا يضع تجربة السيد روبرت مورفى السابقة ، فى مكانها الصحيح ، لقد كان مورفى هو المبعوث الامريكى عام ١٩٥٨ ، وانتهت الحرب الاهلية وقتها بحل أقنع كل الاطراف اللبنانية بأهمية التعايش جميعا فى اطار الدولة اللبنانية .

اذا كانت ظروف العالم العربى هذه الايام ، قد تغيرت كثيرا ، فى غير صالح العالم العربى ، فلا أحد يستطيع ان يفهم مسار السياسة الامريكية الحالية فى لبنان ، الا باعتبارها احدى النتائج المنطقية لانحسار المد العربى ، وبالتالى ترجمته واقعيا فى لبنان ، بازاحة كل الطوائف اللبنانية بعيدا لحساب صفوة مختارة من داخل طائفة واحدة مختارة ، لتكون هى النموذج الصحيح للحكم الموالى للغرب فى العالم العربى .

سيكون هذا المنطق ، أكثر مدعاة للقلق ، خاصة اذا كان هو النتيجة التى قد تتمخض عنها الحرب الاهلية اللبنانية الحالية .

ان نمو حزب الكتائب بهذه الطريقة ، خلال السنوات العشرين الاخيرة ، ربما يعكس نوعا من هذا القلق ، لقد كان نمو حزب الكتائب مواكبا طوال الوقت لنمو السياسات الغربية فى المنطقة العربية طوال هذه الفترة

بتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية : ودعم من جانب اسرائيل ، وموافقة ضمنية من جانب أوربا ، وقلق من جانب العرب ...

فماذا كانت النتيجة ؟

اغلب الظن أن تواجه السياسة الامريكية نفس المأزق الذى يواجه سياسة حزب الكتائب ..

يوجد أمل واحد ، لا يعمـــل السيد ماكفرلين فى الفراغ ، يتواجد ايضا السيد روبرت مورفى نفسه ، فى المشكلة ، انه متورط فى قضـــايا المنطقة طوال السنوات الخمس والعشرين ، انه يشرف بنفسه على تنسيق السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ويشرف أيضا على أعمال ماكفرلين نفسه ، لعل السيد ماكفرلين، يستمع الى نصائح مورفى فانه لا شك لديه الكثير ... خاصة اذا اقتنع أن الهزائم المتوالية والاحباط الدائم فى العالم العـــربى عام ١٩٨٣ ، جعلته يسترجع حاليا ، باهتمام وحزن ، كل وقائع العرب الهامة ، التى حفل بها عام ١٩٥٨ .

واذا كان العالم الذى يواجه الكثير من المخـــاطر فان السياسة الامريكية فى المنطقة مالم تحرز تقدما ، لقد كان من بين النتائج المؤسفة للتأييد العسكرى لحزب الكتائب أن تعرضت السفارة الامريكية فى بيروت للهدم فى ابريل ١٩٨٣ ، كما تعرض ٢٣٠ من قوات المارينز الامريكية فى بيروت للقتل فى اكتوبر نفس العام ، ولم يعـــد لحزب الكتائب اى سند للحكم الا القوات الامريكية ، التى سوف تكون نهاية حكم حزب الكتائب المارونى فى لبنان ، هى نفس اللحظة التى يتقرر فيها انسحاب القوات الامريكية من بيروت ...

الفصل الثالث :

المسلمون السنة

استقال شفيق الوزان ، رئيس الوزراء فى لبنان ليمهد الطريق للمصالحة الوطنية ، والوزان مسلم سنى من بيروت تولى الوزارة فى ظروف بالغة الخطورة ، وظل طوال الوقت مخلصا لرؤسائه غير أنه أقلق اليمين المتعصب فى الجانب الكتائبى ، أما جمهور المسلمين فقد وجد فى الوزان عائقا أساسيا لاى تقدم ، تم الاعلان عن وقف هش ، لاطلاق النار فى لبنان ، كان ذلك يوم الاثنين ٣ أكتوبر ١٩٨٣ ، برغم تهليل أمريكا وفرنسا وايطاليا لهذا القرار ، فقد استقبلت الاطراف اللبنانية هذا القرار بفتور وشك ، وعملت النـوات المارونية وخاصة الكتائبية على انهياره بعد ساعات من اعلانه ..

لقد رفض الشيخ بيار الجميل ، فورا المشاركة فى أعمال المؤتمر الوطنى الذى جاء قرار وقف اطلاق النار تمهيدا له ، كما أعلن كميل شمعون الحليف الاساسى للكتائب ، عن موقف مماثل ، رفض أيضا المشاركة فى مؤتمر المصالحة .

اما أخطر التصريحات التى تجعل من قرار وقف اطلاق النار ، أو مؤتمر المصالحة الوطنية ، مجرد

أمنيات ، فهو التهـــديد الذى أطلقه فادى افرام رئيس ميلشيات الكتائب ، والذى يهدد بالحرب فورا اذا وجـد ان الكتائب ستقدم تنازلات من مكاسبها مقابل ما يقال عن المصالحة الوطنية .

هكذا كان شفيق الوزان ، بمفرده هو أول من استجاب لوقف اطلاق النار ، وقدم استقالته فى اكتوبر ١٩٨٣ للتمهيد للمصالحة ، غير أن الرئيس أمين الجميل ، طالبه بالاستمرار ، « حتى يتضح مسار لبنان فى المستقبل » ، غير أن الهدنة الهشة ، جعلت من الوزان غير ذى موضوع ، لقد كانت حكومته بمثابة حكومة انتقالية طوال عـام ؛ واصبحت جبهة المعارضة الوطنية اللبنانية التى تمثلهـا جبهة الخلاص ، تطالب بالسيد رشيد كرامى وهو مسلم سنى أيضا ، ولكن من طرابلس تطالب جبهة الخـلاص برشيد كرامى كرئيس لحكومة الانقاذ القادمة فى لبنان !

وبين تولى مسلم سنى من بيروت لرئاسة الوزراء ، وبين تقديم المنصب لرجل سنى من طرابلس توجد دلالة كبيرة ، لانه فى كل الحالات التى كان المسلمون خلالها يمثلون الجانب الاضعف ، كان رئيس الوزراء يأتى مـــن بيروت ، معنى هـــذا أن المســـلمين فى لبنـــان بدأوا يشعرون بالمزيد من الاضطهاد ، وانه لابد من تصحيح الاوضاع ، لرفع المعاناة ، وفى هذه الحالة لابد من وجود رئيس وزراء قوى ، يدافع عن حقوق المسلمين ، وسوف يجدونه فى طرابلس .

قبل الاعلان الهش عن وقف اطلاق النار فى لبنان ، يوم ٣ اكتوبر ، كان الحـــال كمـــا يأتى ، فى كل دقيقة

تمر ، يتعرض سكان بيروت لثـــلاثين قذيفـــة مختلفة الانواع والاشكال ، والمتعددة الجنسيات ، تأتى من عرض البحر ، وتسقط من السماء ، أو تندفع من فــــوق سفوح الجبال المحيطة لتسقط فوق المدينة التى يتكون نصف سكانها من المسلمين السنة ، فهل تستحق هذه الطائفة الكبيرة . كل هــذا العقاب ، دون غيرها من الفئات اللبنانية ، أم هو القدر الذى يترصد دائمـــا بالمسلمين السنة اللبنانيين طوال تاريخهم الذى ارتبط بتاريخ لبنان القديم والوسيط والحديث ..

***

ان تاريخ المسلمين السنة فى لبنان قد ارتبط طوال الوقت بأنهم يمثلون عنصر الاعتــدال الوحيد بين طوائف عديدة معظمها متشدد ، أو انعزالى ، أو يرضى بتقسيم لبنان ، أو يقبل بالتدخلات الاجنبية فى الشئون الداخلية للبلاد كان المسلمون السنة يمثلون جمهور المسلمين فى لبنان بعد الفتح الاسلامى لبلاد الشام ، لم تكن الفرق او المذاهب الاســـلامية قد ظهرت بعد ، ظل المسلمون السنة حتى الآن يقـــومون فى لبنان بنفس دورهم التاريخى فى الحفاظ على وحدة كلمة المسلمين بمختلف مذاهبهم ، ومفتى المسلمين فى لبنان ، لابد أن يكون من افاضل الشيوخ من أهل السنة ، وهو فى نفس الوقت مفتى جمهورية لبنان ، يشترك فى انتخابه شيوخ الشيعة والدروز ، ومنصبه مدى الحيــاة ، وهو المرجع الاول والاخير فى شئون المسلمين اللبنانيين كافة ، وهــو الذى يتحدث باسمهم أمام الجهات الرسمية والتنفيذية ، ويكفل له الجميع المهابة والاحترام .

بيان المفتى طلب ايقاف الحرب الاهلية فورا

ومفتى المسلمين الحالى ، هو فضيلة الشيخ حسن خالد ، الذى أصدر يوم ٢١ سبتمبر بيانا اســــلاميا شاملا ، شارك فى وضعه كافة زعماء الطوائف الاسلامية فى لبنان ، اشتمل البيان الاســــلامى على وجهــة نظر المسلمين فى مجمل الاوضاع اللبنانية المتردية ، وكيفية مواجهتها ، وطرق علاجها ..

أكد البيان فى مقدمته على حتمية المحـــــــافظة على اســتقلال لبنان ، ووحــدة أراضيه ، ورفض البيان الطائفية السياسية ، وطالب وقف الحرب الاهلية فورا، وشجع البـــــدء فى حوار وطنى يضم كافة الفئـــات السياسية ورفض الهيمنة الحـــزبية . وأعلن البيان الاسلامى رفضه للاتفاقية الاسرائيلية ــ اللبنانية التى جرى ابرامهــا فى منتصف مايو ١٩٨٣ ، وأيد البيان جهود الوسيط السعودى الامير بندر بن سلطان ،وشجع كافة الاطراف اللبنانية على القبول بما عرضته السعودية من وقف فورى لاطـــلاق النار ، والحــوار مع الحكم الشرعى وجبهة المعارضة اللبنانية ، وقد شـــدد البيان الذى وقعه زعماء المسلمين على حتمية الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية والقوات الاجنبية من أراضى لبنان، وبعد خمسة أيام فقط ، من الاعلان الاسلامى ، صـــــدر قرار بوقف اطلاق النار أو اقامة هدنة تسمح لكل الاطراف بالتفاوض .

ربما كان البيان الاسلامى الذى وقعه مفتىالجمهورية، يعكس طبيعة الحيـــاة اللبنانية ، بالنسبة لكل مسلم سنى ، وهو وضع جعل المســــلمين السنة فى معظم

الحالات ، مؤيدين للسلطة الشرعية للبلاد . ومنذ البداية شكل المسلمون السنة ، طليعة مسـلمى لبنان ، وهم يمثلون الوسط العريض المعتدل ، الذى حافظ للدولة طوال الوقت ، على بنيتها الاساسية ، غير انهم يمثلون أيضا ، فى مجموعهم الاغلبية اللبنانية الصامتة ، التى تحملت أنواعا مختلفـة من الظلم الاجتماعى ، والغبن السياسى ، وقد جاهدت رموز المسلمين السنة ، من سياسيين ورجال الدين ، فى تحقيق واقع أفضل لما يزيد كثيرا على نصف المجتمع اللبنانى ، والسنة اكبر الطوائف الاسلامية فى لبنان ، يزيد عددهم على المليون ونصف المليون ، ينتشرون فى كل مكان ، وخاصة بيروت ، ثم طرابلس ، ثم صيدا ، ومنهم المزارعون الذين زرعوا الارض فى الجنوب والبقاع وعكار .

الاستعمار التركى يتجاهل اهل السنة

طـوال عهـد الاسـتعمار التركى مثلا ، وقد استمر عدة قرون ، كان المسـلمون السنة ، يمثلون العمود الفقرى لنظام الحكم العثمانى ، غير انها كانت اكثر الفئات غبنا طوال فترة الاستعمار العثمـانى للبلاد ، ورغم ان العثمانيين هم من أهل السنة ، وكان يفترض أن يكون اهل السنة فى لبنان هم اقرب الفئات الى العثمانيين ، وبالتالى يستطيعون تولى المناصب الكبرى فى البـلاد ، الا أن العكس كان هو الذى ساد طوال الاحتـلال العثمانى ، لانه لم يكن هناك من يدافع عن حقوقهم فى مواجهة سلطات الاحتلال ، وبينما رضخ السلطان لضغوط الدول الاوربية عام ١٨٦٤ ، وجعل للوالى العثمانى فى

لبنان ، نائبين احدهما درزى والآخر مارونى ، يرعيان شئون الطائفتين ، لم تجد طائفة أهل السنة من يدافع عنها ، أو يرعى شئونها ..

عندما ورثت فرنسا أراضى لبنان ، بعد زوال الاستعمار التركى ، وأصبحت فرنسا دولة الانتداب فى لبنان عام ١٩٢٠ ، وأصبحت بيروت بنصفها الاسلامى السنى عاصمة للبنان ، احتفلت فرنسا بالطائفة المارونية دون غيرها ، ووجد المسلمون السنة أنفسهم فى الوضع الاقل ، الذى لا يتفق مع عددهم ، أو ضعهم الاقتصادى ، أو خبرتهم الطويلة فى العمل الحكومى أو الجيش أو الشرطة .. واشتراكهم مع بقية الفئات الاسلامية فى بناء لبنان الكبير ..

وضع المسلمين السنة لا يتفق وامكاناتهم

وبعد الاستقلال عام ١٩٤٣ ، كان الميثاق الوطنى فى النهاية ، هو نتاج اتفاق بين الموارنة وبين المسلمين السنة ، وقد فاز الموارنة بسبب هذا الميثاق بنصيب الاسد فى حكم لبنان ، بينما ظل وضع المسلمين السنة ، عمليا ، لا يتفق مع حجم امكاناتهم . أو تضحياتهم طوال فترات الاستعمار والانتداب ، والحصول على الاستقلال ، الى جانب التأكيد على حقيقة لبنان الكبير ، الذى يجمع فوق أراضيه كافة الفئات والطوائف ، فى صيغة تعايش ، تؤمن للجميع حياة المساواة والحرية ..

وربما كان وضع رئيس الوزراء الحالى ، السيد شفيق الوزان ، يعكس طبيعة الحجم السياسى للمسلمين السنة فى لبنان ، وفى بيروت على وجه الخصوص ..

والسيد شفيق الوزان ، مسلم سني ، عمل رئيسا للوزراء أواخر عهد الرئيس سركيس ، ابان الحــــرب الاهلية التى بدأت منــذ عام ١٩٧٥ وما زالت مستمرة حتي الآن .. وقد ظل الوزان ، على رأس الحكومة حتى نهاية عهد سركيس ، وبقى خلال الفترة التى أعقبت انتخاب الرئيس بشير الجميل قبل حادث اغتياله فى سبتمبر ١٩٨٢ ، وعند انتخــاب الرئيس الحالى أمين الجميل ، رئيسا للبنان ، احتفظ لنفسه ايضا ، بشفيق الوزان ، كأول رئيس للوزراء فى العهد الجديد ، ويستمر السيد شفيق الوزان فى ممارسة عمله حتى الآن .. حتى بعد تقديم استقالته عقب اعلان وقف اطلاق النار فى الاسبوع الاول من أكتوبر ١٩٨٣ ، وبعد أن ظل فى الحكم ثلاث سنوات تعتبر من أخطر الفترات فى تاريخ لبنان .

ســاء وضع المســـــلمين بسبب عدم فاعليـــة رئيس الوزراء ...

كان اندفاع الثورة عام ١٩٧٥ ، سببا مباشرا جعــل من منصب رئيس الوزراء ، عديم الجــدوى ، وكان المنصب نفسه قبل الثورة لا يمثل فاعلية تذكر ، فالحكم كله يتركز فى رئيس الجمهورية ، وهو مارونى بالضرورة، ولما كان رئيس الوزراء من المسلمين السنة الذين لا يملكون فى الواقع صلاحيات تذكر ، انعكس ذلك على أوضـــاع المسلمين كافة ، والسنة بوجه خاص ، فلم تكن لهم نفس الرعاية التى منحتها الدولة للطوائف الاخرى ، وخاصــة الموازنة .

وقد استمر شفيق الوزان رئيسا للوزراء ، خـــلال

الحرب الاهلية ، وقبيل الغزو الاسرائيلي للبلاد ، واستمر بعد الغزو ، وشارك فى المفاوضات التى جرت مع ياسر عرفات خلال جصار بيروت التاريخى ، فى صيف عام ١٩٨٢ ، انتهت المفاوضات كما هو معروف بخروج عرفات ومقاتليه مبعثرين داخل تسع دول عربية ، بينما انهى سركيس ولايته باطمئنان وسافر بعدها ليعيش بقية حياته مرتاحا فى باريس .. غير أنه بعد عام من اقامته فى عاصمة فرنسا ، بدأ يشعر بمرض غامض ، وسافر الى الولايات المتحدة للعلاج ، وقيل لسركيس أن مرضه لا علاج له ، ثمة حالة نفسية افقدته شهية الطعام والنوم ، وبدأ يفقد وزنه بانتظام ، وتتدهور صحته على طريقة مناحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل السابق الذى اجتاحت قواته أراضى لبنان ، أواخر عهد سركيس ...

ان النمو المضطرد لصلاحيات رئيس الجمهورية اللبنانية ، جعل من منصب رئيس الحكومة ، والحكومة كلها ، بعد عام ١٩٧٥ ، محل شكوك عميقة فى مدى مشاركتها فى صنع القرار الوطنى اللبنانى .. وقد تحمل الوزان هذا العبء ، وعندما فكر فى الاستقالة ، احتجاجا على زيارة مفاجئة قام بها وزير الدفاع الاسرائيلى أرينز لبيروت ، دون علمه أو استشارته ، غير أن رئيس الجمهورية رفض قبول فكرة استقالة الوزان ، وطالبه بالاستمرار ، ووافق الوزان على الفور، وسحب استقالته التى كانت فيما يبدو لانقاذ ماء الوجه لا أكثر ، تجاه زيارة أرينز بناء على دعوة قدمها له توددا رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميل ، وكانت الحكومة وعلى رأسها الوزان لا تعرف عن الزيارة شيئا، وفوجىء الجميع بحرس شرف من ميلشيات الكتائب

تصطف فى مطار بيروت ، تقدم التحية العسكرية لوزير دفاع اسرائيل ورغم المهانة التى وجد شفيق الوزان أنها لحقت به .. استجاب للاستمرار فى الحكومة وسوف نكتشف أن السيد الوزان ، كان أكثر من استخدم طريقة الاستقالة بين رؤساء وزراء لبنان ، غير أنه كان أيضا سريع الاستجابة لسحب استقالته ، غير أن كافة الفئات الاسلامية فى لبنان ، طالبت بضرورة اقالة شفيق الوزان وحكومته ، كبداية لاى حل ينتهى بنوع من الوفاق السياسى بين أبناء البلاد .

الزعامات السنية والتعاون مع السلطة الشرعية

ويمكن ادراج السيد صائب سلام ، وهو أيضا زعيم اسلامى سنى ، من بيروت ، داخل اطار الزعامات السنية التى تقبل بالتعاون مع السلطة الشرعية للبلاد . حتى لو تم اتهامها بالوصولية ، كما قال مؤخرا وليد جنبلاط زعيم الدروز ، ورئيس جبهة الخلاص الوطنى ، التى تضم السيد رشيد كرامى ، وهو من زعماء المسلمين السنة ، من طرابلس ، ثانى معاقل المسلمين السنة فى لبنان بعد بيروت ، وهو مرشح جبهة الخلاص ، لرئاسة حكومة جديدة تستطيع التعبير عن امانى المسلمين عامة والسنة بوجه خاص .

لقد كان الفرق واضحا طوال الوقت بين مسلمى بيروت من السنة ، واخوانهم فى طرابلس ، لقد كان من مظاهر التعصب الدينى لدى موارنة محافظة الشمال حيث توجد طرابلس ، أثره العميق فى نفوس المسلمين السنة فى نفس المدينة ، كما ان ارتباطهم جغرافيا

بسوريا ، واعتبار طرابلس مرفأ طبيعيا للسوريين ، كل ذلك ساهم فى تزايد مشاعر السنة فى طرابلس بأنهم أكثر الفئات غبنا فى التركيبة السياسية اللبنانية ، وبالتالى كانت معارضتهم أقوى للممارسات المارونية ، وبسبب المسلمين السنة فى طرابلس ، يصعب وصول مرشح مارونى من محافظة الشمال الى منصب رئاسة الجمهورية ، ولذلك فان معظم رؤساء لبنان هم من موارنة جبل لبنان ، كذلك يستمتع كرامى بتعاطف المسلمين الشيعة فى لبنان ، وهم حلفاء جبهة الخلاص الوطنى التى تحظى فى نفس الوقت بدعم السوريين ، لذلك يعتبر رشيد كرامى أصلح الوجوه اللبنانية لتولى حكومة انقاذ وطنى يتفق عليها مسبقا معظم الاطراف اللبنانية المتصارعة فى الداخل ، فضلا عن تأييد السوريين الذين يعتبر موقفهم تجاه رئيس الوزراء الجديد مهما ، ومع كل ذلك فان منصب رئيس وزراء لبنان ، يظل هامشيا حتى فى أحلك الظروف التى يتعرض لها مصير لبنان . كما أن رشيد كرامى نفسه ، لا يستطيع التأثير على القرار اللبنانى ، حتى اذا كان رئيسا للوزراء ..

رئيس الوزراء يفضلونه من سنة بيروت ، وليس من طرابلس .. لماذا .. ؟!

لقد انتهى الحال بأن ترشيحات معظم رؤساء الوزارات فى لبنان قبل الاستقلال وبعده ، أصبحت حكرا على المسلمين السنة من أهل بيروت ، بينما وصل الى منصب الرئاسة من أهالى طرابلس ، رجلان فقط من اسرة كرامى

أولهما كان الشيخ عبد الحميد كرامى ، ثم الشيخ رشيد كرامي ، الذي قد تجذبه فكرة القومية العربية ، مع المحافظة على استقلال لبنان ، وهو يعلن دائما أنه يخشى ذوبان لبنان فى كيان عربى أوسع ، يفقده كيانه وطابعه الخاص وهو نفس ماينادى به الموارنة تقريبا .. ومع ذلك لم يظهر كرامي كرئيس للوزراء الا خلال فترات المد العربى فقد تولى كرامي الوزارة لاول مرة عام ١٩٥٦ ، خلال فترة حكم شمعون ، غير أن وزارته استمرت فى الحكم ستة شهور فقط .. عاود كرامي الظهور مرة اخرى ، وبطريقة أكثر تألقا ، خلال عهد الرئيس فؤاد شهاب الذى استمر ٦ سنوات ، من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٤ ، وقد تولى كرامي رئاسة الوزارة ثلاث مرات خلال هذه الفترة ، وكانت مدة حكمه قد وصلت الى ثلاث سنوات و ٧ أشهر وعشرة ايام ..

وبعد عام ١٩٦٤ ، وما تبعه من أحداث سواء داخل لبنان ، او على المستوى العربى ، لم تكن هناك حاجة الى التفكير في زعيم من طرابلس مثل .. رشيد كرامى ، وان كان قد ظهر مؤخرا كواحد من زعماء جبهة الخلاص الوطنى ..

ان منصب رئيس الوزراء في لبنان ، لا يعنى شيئا ذا قيمة كبيرة فى تشكيلة الحكم ، غير انه يعكس بالضرورة مدى احترام الشرعية لطائفة السنة ، كبرى الطوائف فى لبنان على الاطلاق .. لقد تولى رئاسة الجمهورية فى لبنان قبل الاستقلال وبعده ، أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة ، غير ان عدد الوزارات التى تم تشكيلها فى لبنان منذ عام ١٩٤٣ وهى سنة الاستقلال ، حتى عام ١٩٥٨

وهى سنة الثورة منذ حكم كميل شمعون ، قد بلغت ٣٠ وزارة ، بمعدل وزارتين يجرى تشكيلهما كل عام .. ! مع ملاحظة هامة ، لانه بالمقارنة مع دولة مجاورة للبنان ، وهى اسرائيل التى ظهرت منذ صيف عام ١٩٤٨ ، نجد أنه قد تولى فى اسرائيل منذ سنة التأسيس حتى عام ١٩٨٣ منصب رئاسة مجلس الوزراء سبعة أفراد فقط خلال ٣٥ عاما ، بمتوسط رئيس للحكومة كل خمسة أعوام .. !!

كيف تستطيع حكومة ان تبدأ عملا ، فضلا عن انجازه خلال فترة حكم قصيرة . لقد ظهر السيد صائب سلام لاول مرة فى منصب رئيس الوزراء ، ابان الفترة الثانية لرئاسة الشيخ بشارة الخورى ، غير أن السيد صائب سلام وحكومته اقيلت بعد ثلاثة أيام من تشكيلها « من ١٤ سبتمبر ١٩٥٢ الى ١٧ سبتمبر من نفس العام ١٩٥٢ » .

واذا كان ذلك حال من يمثل المسلمين السنة فى قمة الحكم ، فان أحوال الطائفة بالضرورة ستكون طوال الوقت عرضة للاهمال والتجاهل .

ووفقا للعرف السائد ، وهو تقليد أقوى من الدستور ، يكون للمسلمين السنة ، رئاسة الوزارة فقط ، وليس لاحد أن يتطلع الى منصب رئيس الجمهورية ، كما أن تمثيلهم فى مجلس نواب لبنان لا يجب أن يزيد على ٢٠ عضوا بأية حال ، والمجلس مكون من ٩٩ عضوا ، ولا يزيد تمثيل المسلمين السنة فى أية تشكيلة حكومية عن وزير واحد ، وغالبا ماتكون هذه الوزارة قليلة الاهمية ، واذا عرفنا أن النظام اللبنانى ، يجعل من الحكومة ومجلس النواب ، مؤسسات محدودة الفاعلية ، اذ لم تكن عديمة

النفع بالنسبة لمن تمثلهم ، خاصة اذا لم يكونوا من طائفة رئيس الجمهورية ، استطعنا أن ندرك مدى الفجوة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية التي يعاني منها في لبنان المسلمون السنة وبقية طوائف المسلمين . والدولة اللبنانية تقدم خدماتها بسخاء ، على طائفة واحدة تمثلها ، دون بقية طوائف الدولة اللبنانية .

المسلمون السنة ، الاغلبية الصامتة ..

اشتهر السنة منذ أقدم العصور ، بأنهم سكان المدن اللبنانية ، وأن التجارة عملهم الاساسي ، وأنهم يشكلون ٤٣٪ من مجموع سكان بيروت ، ويتركزون في بيروت الغربية ، والدائرة الانتخابية في بيروت الغربية مغلقة لصالح المسلمين السنة في كل الانتخابات ، كما أن دائرة بيروت الثالثة ، مقسمة بين السنة والدروز والاقليات .. وكان السنة قبل تأسيس الدولة ، من أهل الحكم ، وثاروا ضد الحكم العثماني ، بسبب كثرة مظالمه ، واصبحوا تجارا وباعة وأصحاب حرف ، وانخرط معظمهم في سلك الوظائف الحكومية ، وفي داخل قوات الامن والجيش ، واجهزة الادارة ، واصبح بعضهم من رجال الاقطاع ايضا .. غير أنهم تميزوا عن غيرهم من الطوائف الاخرى ، بأنهم مجتمع المدينة الاكثر تحضرا ، والاكثر ميلا الى الاستقرار ، والاكثر قبولا بأحكام السلطة الشرعية للبلاد ..

لم يحاول الانتداب الفرنسي قط ، انصاف أحوال المسلمين وخاصة طائفة السنة ، رغم حجمهم الكبير ،

وتأثيرهم على مجرى الحياة العامة وقد تعمـدت الادارة الفرنسية انشاء بعض الوظائف ذات الطبيعة الدينية لارضاء بعض الجهات الاسلامية أو زعاماتهـــا ، وكانت نتائج السياسة الفرنسية ، المزيد من التفرقـــة والنزاع بين المسلمين انفسهم ، وقد ظهر التقاتل من اجل اقتســام المناصب ، أو اغتنام خيرات الاوقاف الاسلامية ..

ولقد ظهر قانون بعد الاستقلال باثنى عشر عاما ، ينظم احوال المسلمين السنة ، ففى عام ١٩٥٥ صدر قانون يقضى بأن طائفة المسلمين السنة مستقلة فى شئونها الدينيـة ، وأوقافها الخيرية ، وحق الطائفة فى ادارة شـــئونها ، وتنظيمها من داخلها ..

واصبح مفتى المسلمين السنة ، هو مفتى المسلمـين بكل مذاهبهم فى لبنان ، سواء الشيعة أو الدروز ، أو غيرهم ، وهو مفتى الجمهورية . ومع ذلك لم تنظم القوانين اللبنانية اى طريق لتنفيذ صلاحيات المفتى بطريقة عملية ، وقد ظل هذا المنصب الدينى الرفيع طوال الوقت ، يبحث دون جدوى ، عن صلاحيات عملية تجعله مؤهلا لممارسة سلطاته بالقدر الذى يتساوى مع بطريرك الطائفة المارونية فى لبنان .

وقد جعل القانون اللبنانى من منصب مفتى المسلمين ، رغم كل مايحيط به من مظاهر احترام ، مجرد وظيفـة حكومية ، من درجة ممتازة رغم أن منصب المفتى هـــو عنوان كل المسلمين فى لبنان بكل طوائفهم ، ولم يظهر حتى الان تحديد واضح للطرق والوسائل التى تكفل للمفتى مباشرة مهامه .

وقد صدرت عدة مراسيم تنظم أحوال الطائفة عامى

١٩٥٦ ، ١٩٦٢ غير انها لم تقدم للمسلمين السنة اضافة تذكر ..

ومع كل ذلك ، يتمتع مفتى لبنان باحترام كافة المسلمين فى لبنان ، فهو مقصدهم ، ومرجعهم وهو رمز للمسلمين يحاط بالاجلال والاعتبار ، وزعامته الدينية تعلو فوق أى زعامات سياسية ، حدث عام ١٩٥٨ ، عندما تعاون رئيس الوزراء سامى الصلح مع الرئيس كميل شمعون فى طلب القوات الامريكية ، والدخول فى حلف بغداد وضرب الثورة حدث أن قدم مفتى المسلمين فى ذلك الوقت ، فضيلة الشيخ محمد علايا ، فتوى كان لها تأثيرها الخطير على الحياة السياسية للشيخ سامى الصلح ، فقد أطلق عليه اسم المنبوذ وأطلق على حكومته اسم حكومة المنبوذين ، وقد لصق بها هذا الاسم ، ولم يعد الشيخ سامى الصلح المرشح المفضل بعدها لدى رؤساء جمهورية لبنان ، لكى يكلفوه بتشكيل الوزارات ، رغم أنه سجل بمفرده أعلى رقم فى تشكيل الحكومات اللبنانية ..

لقد تولى سامى الصلح الوزارة ٥ مرات من مجموع ثمان خلال فترة رئاسة الشيخ بشارة الخورى بعد الاستقلال ، وفى عهد كميل شمعون تولى سامى الصلح رئاسة الوزارة ٣ مرات من مجموع ٨ وزارات ، وكان لتأثير فتوى الشيخ محمد علايا تأثيرها على الابتعاد عن سامى الصلح فيما بعد .. وبعده بدأ نجم السيد صائب سلام ، يعلو كبديل للصلح ، ولقد أظهر الشيخ صائب سلام أنه لا يقل مرونة عن سلفه فى التعاون مع رؤساء جمهورية لبنان ، وسجل رقما عاليا فى عدد المرات التى تولى خلالها رئاسة الحكومة اللبنانية ، غير أن أحوال المسلمين السنة طوال عهده أيضا ، كانت فى حالة انحدار مستمر .. !!

ويعاون مفتي لبنان ، مجلس شرعى أعلى يرأسه المفتى، يعاونه نائب وأعضاء طبيعيون ، وآخرون يجرى انتخابهم ، وقد جرت العادة أن يتم تشكيل المجلس من ٦ أعضاء يمثلون بيروت ، و ٦ يمثلون طرابلس ، و ٣ من صيدا ، وعضو واحد من البقاع ، وعضو واحد من جبل لبنان ، ومدة المجلس ٥ سنوات ..

والقضاء الشرعى فى لبنان على درجتين ، محاكم ابتدائية ، ومحاكم استئناف ، وتجرى أحكامه وفقا لمذهب أهل السنة .. ولا تتدخل السلطات الحكومية فى شئونها ..

لماذا يحرم المسلمون السنة من فرص التعليم ؟

لقد كان حرمان المسلمين السنة من فرص التعليم قائما ومستمرا ، فلم يكن فى لبنان الا التعليم الخاص ، وهو اجنبى أو يدار لحساب الأجانب ، ولم تتدخل الحكومة لاتاحة فرص التعليم لكل أبناء البلاد الا فى وقت متأخر ، وبدرجة محدودة ، لذلك اعتمد المسلمون السنة على خدمات الجمعيات الاسلامية التى كانت توفر فرصا محدودة أيضا لتعليم ابناء المسلمين ، وكانت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية من ابرز الجمعيات التى ساهمت فى نشر التعليم ..

كانت الفجوة فى فرص التعليم مبررا كافيا لكى تجعل طائفة الموارنة فى وضع أفضل . فى التعامل مع الحكومة ومع الخارج . وكانت اللغة الفرنسية تنافس اللغة العربية ، ليس فى دواوين الحكومة فقط . ولكن أيضا

كلفة متداولة بين عامة الناس ، وكانت معظم الوظائف فى الشركات والحكومة والبنوك تفضل ذوى الثقافة الفرنسية

وبينما كانت هناك جامعة سان جوزيف الفرنسية بفروعها منذ القرن الثامن عشر فى لبنان ، كانت الجامعة الامريكية قد تم تأسيسها منذ مائة عام ، ولم تفكر الحكومة اللبنانية فى بناء جامعة وطنية الا فى عام ١٩٥٢ ، وقد ظلت هذه الجامعة محل اهمال الحكومات المتعاقبة الى أن قامت اضرابات طلابية كبرى بعد عشرة أعوام من تأسيسها وطالب الجميع بتدعيم الجامعة والاهتمام بشؤونها .

وعندما قامت جمعية المقاصد ، ببناء جامعة أهلية عام ١٩٦٠ تضم أبناء المسلمين المحرومين من التعليم العالى فى لبنان ، وكان ذلك بمساعدة مصرية ، ثارت كل الفئات اللبنانية من ذوى الثقافة الفرنسية ، وعندما تم افتتاح كلية الحقوق فى العام التالى لتأسيس الجامعة التى أصبحت فرعا لجامعة الاسكندرية ، ثار المحامون اللبنانيون،وأعلنوا الاضراب ، واصيبت اعمال المحاكم بالشلل ، وكان المحامون الذين يتكلمون بالفرنسية يطالبون بالاضراب الشامل الى ان يتم اغلاق كلية الحقوق العربية فى بيروت .. ولكن ذلك لم يحد بالطبع ، واستمرت الكلية فى عملها .. وتم تخريج دفعات كثيرة من الطلبة المسلمين الذين اثبتوا تفوقا لا يقل عن أقرانهم الذين أرادوا احتكار الثقافة والوظائف والعمل العام ..

كذلك لم تعد أعمال المحاماة وحدها حكرا على ذوى الثقافة أو الاتجاهات الفرنسية والاجنبية بصفة عامة ، فقد تمكنت جامعة بيروت الحكومية الى جانب فرع جامعة الاسكندرية فى بيروت ، من تخريج معظم الشباب اللبنانى

المسلم الذى يعمل فى كل فروع الحياة وأصبح منهم الاطباء والمحامون ، والصحفيون ، ويشكلون طليعة جيل مسلم يرفض النزعات الطائفية التقليدية ، ويطالب بالمساواة والحرية والعدل فى تكافؤ الفرص بين جميع اللبنانيين ، غير أن حضورهم السياسي لم يظهر بعد على مسرح الحياة العامة فى لبنان ، بطريقة مؤثرة ..

هل توجد للمسلمين السنة احزاب سياسية .

لم تكن هناك احزاب سياسية قوية تستطيع استيعاب الحجم الكبير لطائفة السنة ، أو تستطيع توظيف طاقتها وقدرتها على التاثير على مجمل تاريخ لبنان ، وقد ظهر حزب النجادة ، كتنظيم سياسى يضم غالبية بين اعضائه من المسلمين السنة ، وقد تكون هذا الحزب عام ۱۹۳۷ بعد عام واحد من تأسيس حزب الكتائب المارونى بطبيعته العسكرية ، ويبدو أن حزب النجادة قد ظهر كطريقة للرد على هذا التنظيم الكتائبى ..

انضم الى هذا الحزب فى بداية تكوينه ۱۲ الف عضو وكانوا يعتمدون أسلوب التدريبات العسكرية اسوة بحزب الكتائب ، وقد تعرض الحزب للحل عام ۱۹٤۹ ، ثم أعيد تكوينه عام ۱۹٥۱ ، غير أن الحزب لم يبرز نشاطه بشكل ملحوظ الا عام ۱۹٥٤ عندما اعيد تنظيمه ، وتم تسجيله رسميا كحزب سياسى .

وكان لحزب النجادة دور خطير فى ثورة ۱۹٥۸ ، لذلك قام الرئيس الاسبق كميل شمعون بحله ، غير أن حزب النجادة عاد الى العمل بعد غياب شمعون ، واصدر صحيفة صوت العروبة ..

يقول حزب النجادة فى برنامجه السياسى أن الدين مسألة شخصية ولم يرفض انضمام غير المسلمين لعضويته غير أن معظم عضويته قد اقتصرت على المسلمين السنة ..

وينادي الحزب بأنه حزب قومي عربى ، ديمقراطى ، اشتراكى ، ويرى الاحتفاظ باستقلال لبنان ، استقلالا تاما ، ناجزا ، باقيا ، وطالب بضرورة اجراء احصاء لتعداد السكان فى لبنان غير أن أهم مبادئه بالفعل قد تركزت حول هدفين ..

أن تكون رئاسة الجمهورية دورية بين المسلمين والمسيحيين ..

ان الميثاق الوطنى لا ضرورة له ، ولا يجب أن يلزم أحدا ويجب تجاوزه لمصلحة شعب لبنان ..

ربما كان حزب النجادة ، هو أبرز التنظيمات السياسية الاسلامية التى ظهرت بعد الاستقلال ، غير أن تأثير الحزب ظل محدودا ، على الساحة السياسية ، رغم أنه كان يضم أعضاء يستطيعون التأثير المباشر على الحياة السياسية للبلاد ، وخاصة بيروت العاصمة .

لقد كان معظم أعضاء الحزب من الطبقات الفقيرة والمتوسطة والاسلامية ، غير أنهم كانوا فى نفس الوقت يمثلون عصب الحياة اليومية فى بيروت كان يضم عمالا من مختلف الحرف ، الاجراء ، والطلاب ، وصغار التجار ومعظم سائقى التاكسى فى بيروت ، وعمال النظافة فى المدينة ، وتجار الخضراوات ، ومعظم أصحاب محلات الجزارة .. كان حزب النجادة يستطيع شل الحياة العامة فى بيروت العاصمة اذا أراد ، لذلك كانت أول أعمال كميل

شمعون عند اندلاع حرب ١٩٥٨ أن أغلق الحزب ، وحرم كافة انشطته ..!!

وبافتقاد الحزب الى قيادة قوية ، لم يعد له أثر يذكر ، وقد تعمد الشيخ عدنان الحكيم ، وهو رئيس الحزب أن يكون هو كل شيء ، كما جعل الحزب حكرا له ولافراد أسرته ، ولم يعد له تأثير يذكر فى الحياة السياسية للبلاد .

المسلمون السنة ، عنصر الاعتدال فى لبنان

ان مايطلبه المسلمون عامة فى لبنان ، والمسلمون السنة بوجه خاص ، يتمثل فيما يقولون حاليا على نطاق واسع ، وكما يحدد بيان العلماء المسلمين فى أكتوبر ١٩٨٣ ، وهم يقولون فى كتاباتهم وبياناتهم أن مايطالب به المسلمون ليس على أساس تحقيق الذاتية الاسلامية ، على حساب الذاتية الوطنية ، وانما يريدون تصحيح المسار التاريخى للكيان اللبناني ، وهو تأكيد الذاتية الوطنية ، دون عملقة فئة أو طائفة على حساب مجمل الشعب اللبنانى .

لعل هذا الاتجاه يمكن رصده بطريقة أكثر وضوحا لمن يتابع كتابات الصحف اللبنانية ، سواء داخل لبنان ، أو صحف لبنان المهاجرة الى الخارج ، فضلا عن كتابات الصحفيين اللبنانيين بمختلف ميولهم ، وتعليقاتهم حول المسألة اللبنانية التى تشغل أذهان العالم ..

بينما كانت مذابح لبنان ، وتداعياتها الاقليمية والدولية ، مثار تعليقات مطولة من كافة الصحفيين والمراقبين الاجانب .. كانت صحف لبنان التى هاجرت

منذ ١٠ سنوات الى منفاها الاختيارى فى باريس ، قد اقتنعت تماما بأن مايحدث فى السلفادور وبقية دول أمريكا الوسطى لا يقل أهمية عما يدور فى لبنان ، وبالتالى فقد افردت مجلة متقدمة مثل المستقبل ، أهم صفحاتها ، وخصصت أبرز كتابها للحديث عن أمريكا الوسطى ، فى الوقت الذى كان نطاق التورط الاوربى والامريكى فى لبنان يتزايد عمقا ، وشاركت الطائرات الفرنسية مع طائرات الاسطول السادس الامريكي فى ضرب شواطىء لبنان وضواحى بيروت ، ومنطقة جبال الشوف ..

ومنذ قيام الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ ، فضل الصحفيون اللبنانيون من ذوى الثقافة الفرنسية السفر الى فرنسا والعمل من هناك ، ونجحوا فى تأسيس مجلات عربية لا تكتب عن لبنان الا من منظور محايد ، وكانت حجتهم طوال الوقت أنهم ، بسبب كتاباتهم يتعرضون لحوادث الاغتيال ذات الطابع الطائفى ، ولم تهمل المجلات اللبنانية فى باريس اهتمامها بالحديث عن العالم العربى ، وان كانت تدخلاتها التقليدية فى شئون العالم العربى قد خفت حدتها الى حد كبير .

وقد فضل معظم الصحفيين اللبنانيين المسلمين هجرة العمل الى داخل الدول العربية ، وقد ظهر تأثيرهم واضحا فى صحف منطقة الخليج العربى ، فقد اشتركوا مع المثقفين الكويتيين وغيرهم فى بقية أقطار الخليج ، بخبرتهم بالعمل الصحفى ، وتأسيس جرائد كبيرة تحظى باحترام القارىء ، وربطوا صحف هذه المنطقة العربية الغنية بهموم بقية العالم العربى ، وعندما قامت مذابح لبنان التي قادها الكتائبيون ، ضد عناصر المسلمين السنة

والشيعة والدروز ، خلال خريف عام ١٩٨٣ ، كـــانت الصحف العربية فى منطقة الخليج بأجمعه هى الاعلى صوتا فى المتابعة والتعليق ، والتحذير بالعواقب الوخيمه لتردى الامور فى لبنان ..

المسلمون السنة ، ومخاطر سياسة الهرم المقلوب فى لبنان ...

ان عدم احترام أماني المسلمين عامة فى لبنان ، وتقدير حجم وتأثير المسلمين السنة بوجه خاص ، هو الذى جعـل التركيبة السياسية اللبنانية ، بمثابة الهرم المقلوب طوال الوقت ، لقد رأينا أن السنة يمثلون القـــاعدة العريضة المعتدلة لهذا الهرم ، غير أن الغبن الواقع عليهم ، وأبعادهم عن دورهم المطلوب لحفظ التوازن ، وضمان الاعتدال . والحفاظ على شكل لبنان هو الذى جعل تاريخ ما بعـد الاستقلال ، هو نفس تاريخ الحروب الاهلية اللبنانية .

لقد حذر المراقبون الاجانب ، وخاصة البريطانيون ، عشية وقف اطلاق النار ، انه لابد أن يكون مشروع السلام اللبناني القادم ، عربيا فى مضمونه ، بعيدا عن أى تخطيط اسرائيلى ، وان المصالحة الوطنية يجب أن تضع فى الاعتبار حجم المسلمين وتأثيرهم ، ودورهم فى الحياة السياسية ، اكثر من ذلك ماحذرت من وقوعه جريدة بريطانية يمينية فى أكتوبر ١٩٨٣ ، عندما قالت :

ان الحل الامريكى للمسألة اللبنانية يجب الابتعاد عنه ، لان الحل الامريكى فى بســـــاطة ، يعنى ابادة الشـــــعب اللبنانى ، وهو تعبير مهذب من جانب الصانداى تلجراف عندما استخدمت تعميم كلمـــة الشـــعب اللبنانى ، دون

تخصيص طائفة دون اخرى ، ذلك أن الامريكيين قد دخلوا لبنان قبل عام لمساعدة الكتائب ، الوجه السياسى والعسكرى للموارنة الذين يرفضون حاليا ، المصالحة الوطنية ، ويهددون بالحرب مرة اخرى ، ولا يرفضون فكرة تفتيت لبنان .. !!

***

ويعتقد حزب الكتائب المارونى ، أن فكرة الاصلاح السياسى فى لبنان ، ليست لها الا ترجمة وحيدة ، هى أن اعتدال الهرم المقلوب فى لبنان ، تعنى فى بساطة أن يتولى المسلمون السنة ، الحكم فى لبنان .. !!

الفصل الرابع

المسلمون الشيعة

يطيب للمراقبين الاجانب ، المتابعين لعملية الصعود أو الهبوط فى أسهم الطوائف اللبنانية ، ومدى اتساع أو انكماش حصتها فى أسهم الحكم والسلطة ، يطيب لهؤلاء تقديم هذه المقولة التى تعتمد أساسا على طائفة الموارنة كقاسم مشترك فى لعبة الحكم والسياسة ، لانه بمقدار تحالفها مع طائفة واحدة من الطوائف الاسلامية تكون السيطرة على مسار الحياة السياسية فى لبنان ..

تقول هذه المعادلة السياسية ، أنه فى العام ١٨٦١ قام الاستقرار فى جبل لبنان ، بموجب تحالف مارونى — درزى ..

وفى عام ١٩٤٣ استقلت لبنان ، وظهر الميثاق الوطنى نتيجة تحالف مارونى — سنى ..

أما فى هذه الايام الراهنة ، التى تشهد فصولا حية من دمار لبنان ، فانهم يربطون خلاصه ، واستمرار كيانه مستقلا ، بتحالف منتظر ربما يستطيع الموارنة عقده هذه المرة مع طائفة الشيعة ، التى يقال أنها اصبحت الان أكبر الطوائف الاسلامية وأكثرها ديناميكية فى لبنان ..

لقد كانت الشيعة قبل الاستقلال محل تجاهل تام ، كان حجم وجودهم محدودا ، وبالتالى لم يكن لهم تأثير سياسي يذكر ، غير أن عددهم زاد عشرة أضعاف خلال القرن الاخير فقط ، فهم يقدمون حاليا بسخاء نصف مواليد لبنان ، يقال فى مقابل كل طفل مارونى يولد ، يوجد أربعة اطفال من ابناء طائفة الشيعة ، وعندما جرى تعداد تقديرى لعدد سكان لبنان عام ١٩٤٣ بمعرفة السلطات الفرنسية ، كان حجم طائفة الشيعة وفقا لهذا التقدير قد وصل الى ربع مليون نسمة ، أما الان وبعد أربعين عاما ، فان التقديرات تصل بعددهم الى حدود المليون ، مايقرب قليلا من ثلث سكان كل لبنان ، يقولون على نطاق واسع ، ان الشيعة ستكون القوة المركزية فى لبنان المستقبل ..!

فمن هم هؤلاء الشيعة الذين كانت لا تقبل لهم شهادة فى محاكم لبنان ، والذين قصمت فرنسا ظهرهم عندما فكروا مرة واحدة بالتمرد ضد سلطة الاحتلال فى جبل عامل ، وفرضت عليهم غرامة حربية باهظة لم يفلحوا فى سدادها الا بعد سنوات طوال ، وكيف تغير بهم الحال الى الحد الذى كانوا يتوقعون فيه لطائفة الشيعة أن تقوم هى بالثورة فى لبنان قبل عام ١٩٧٥ لتصحيح اوضاعها ، بدلا من قيام الحرب الاهلية اللبنانية التى اشتركت فيها الطوائف اللبنانية بما فيها طائفة الشيعة ، هذه الحرب المستمرة حتى اليوم ..

ان الموقف الحالى لطائفة الشيعة فى لبنان ، هو فى صف المعارضة لمحاولة هيمنة حزب الكتائب والانفراد بالحكم ، وهم حلفاء لجبهة الخلاص الوطنى التى تضم الدروز ومعظم زعماء المسلمين السنة فضلا عن زعماء كبار من طائفة الموارنة .

لقد تعرضت العناصر المسلحة لطائفة الشيعة فى بيروت أوائل سبتمبر ١٩٨٣ ، لاول تجربة عسكرية مباشرة خاضها الجيش اللبنانى الحديث التكوين ، مع بداية الحرب الاهلية التى بدأت فى بيروت ، وانتشرت فى الجبل واستمرت ثلاثة أسابيع ، وانتهت بقرار هش لوقف اطلاق النار وافقت عليه الأطراف اللبنانية المتصارعة ..

نجح الجيش اللبنانى بعد ثلاثة أيام من القتال ، فى القضاء على مقاومة منظمة أمل الشيعية داخل بيروت فى بداية معارك سبتمبر التى أستمرت ثلاثة أيام ، غير أنه عندما تقرر وقف اطلاق النار ، كانت منظمة أمل الشيعية العسكرية من بين اعضاء اللجنة التى تقرر تشكيلها لمراقبة وقف اطلاق النار ، كما أن الطائفة ستكون فيما بعد ممثلة فى مؤتمر المصالحة الوطنية الذى انهى جولته الأولى فى أواخر أكتوبر ١٩٨٣ ، مالم تظهر فى الافق احتمالات كئيبة ، تعرقل طريق الوصول الى تسوية سلمية ، تعيد الى لبنان كيانه الموحد ، وتعيد الى طوائفه متعة مواصلة لعبتهم المفضلة وهى توزيع الحصص والمناصب بين الاخوة الاعداء، داخل الاسرة اللبنانية المدججة بالسلاح والعقائد .

من هم الشيعة ...

والشيعة اللبنانية ، هم من الجعفرية الاثنى عشرية ، بدأ وجودهم ظاهرا للعيان كطائفة منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى فى أجزاء عديدة من اراضى لبنان ، كان تواجدهم كثيفا بصفة رئيسية فى صور والبقاع ، وبعلبك والهرمل ، واشتغلوا بالزراعة والرى كاجراء فى اقطاعيات

الكبار ، وعاش بعضهم أيضا فى أطراف المدن وخاصة بيروت ، وكانوا يعملون فى بعض المهن الصغيرة وباعة ، والشيعة شأنهم كالموارنة عاشوا منذ البداية كمزارعين ورعاة ، وكان للموارنة من يرعاهم طوال القرون ، غير أن الشيعة كانت عرضة فى كل الاوقات للمظالم ، فطوال العهد التركى ، ثم الاستعمار الفرنسى ، لم تكن للشيعة حقوق تذكر ، وكانوا مضطهدين فى اقطاعيات كبار ملاك الاراضى ، ولم تكن تقبل لهم شهادة فى المحاكم .

اما الجعفرية فهى نسبة لجعفر الصادق ، واحد من احفاد سيدنا على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، والاثنى عشرية ، نسبة الى ذرية سيدنا على من الذكور ، والتى يقال ان حكم المسلمين فى كل الازمنة يجب عدم خروجه عن دائرتهم ، والا كان الحكم غير جائز فى اعتقادهم ، ويقال ان الاثنى عشرية هذه دخلت الى المذهب الشيعى من جانب اليهود الذين يعتقدون فى الاثنى عشرية ، من ذرية سيدنا يعقوب الذى انجب اثنى عشر ولذا كانوا ملوكا وحكاما ، ويعتقد بعض اليهود ان احفاد اولاد يعقوب الاثنى عشر هم المؤهلون لحكم اليهود حتى نهاية الزمان ، وهكذا تعتقد بعض طوائف الشيعة ان المهدى المنتظر الذى يأتى آخر الزمان ، لابد ان يكون من بين احفاد الجعفرية الاثنى عشرية ..

حاول الاستعمار التركى ، وبعده الفرنسى ، افساد كل علاقة يمكن ان تقوم بين المسلمين السنة أو المسلمين الشيعة فى لبنان ، كما اشترك الاستعمار التركى والفرنسى فى ابعاد طائفة الدروز طوال الوقت . عن المسلمين ، السنة والشيعة على حد سواء ..

كان هدف الاستعمار دائما هو ابعاد الطوائف الاسلامية

عن بعضها البعض ، وضربها كل على انفـراد ، ولو أن الطوائف الاسلامية اللبنانية تعايشت فيما بينها بما تحكم به مبادىء الاسلام الحنيف ، بعيدا عن مؤامرات الاستعمار لتغير تاريخ لبنان . .

***

ان الخلاف الجوهرى بين المسلمين السنة والشيعة فى لبنان ، لا يتعلق بالعقيدة أكثر مما يتعلق بنظام الحكم ، ترى الشيعة أن الخلافة فى الاسلام مثل النبوة ، منصب يعين من قبل الاله ، ويجب أن يكون محصورا فى بيت سيدنا على بن أبى طالب وأولاده من بعده ، وبالتالى فهم يعتقدون أن خلافة سيدنا أبى بكر وعمر وعثمان غـير جائزة ، وأن سيدنا على هو الاولى بالخلافة منذ البداية .

ويعتقدون أن الامام معصوم من الخطأ ، غير أن أكثر مايميز طائفة الشيعة قولهم بانتظار المهدى المنتظر ، الذى يأتى فى آخر الزمان ، ويملأ الدنيا عدلا ، وهذه الفكرة تثير خيالهم أكثر من أى شىء آخر . .

والشيعة بوجه عام ، تنقسم الى فرق كثيرة ، يخالف بعضها بعضا ، فى الكثير من التأويلات او المعتقدات ، ويذهب الباحثون فى أمور الشيعة الى أن عددها يصل الى ثلاثين فرقة ، ومنهم من يقول انها أربعون فرقة ، غير أن الاعتقاد السائد هو أن عدد الفرق الشيعية فى العـالم الاسلامى يزيد عددها على ٧٢ فرقة . .

يقال عن بداية نشأة الشيعة كمذهب اسلامى متميز ، انها ظهرت منذ يوم السقيفة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما اتفق المسلمون من مهاجرين وأنصار على ولاية سيدنا أبى بكر كخليفة لرسول الله ، فى يوم

السقيفة هذا كان هناك من المسلمين من وجد أن سيدنا علي هو الاحق بالخلافة ، ومن « تشيع » لسيدنا علي اصبح شيعيا .. منذ ذلك اليوم المبكر في تاريخ الاسلام ..

قيل أيضا أن الشيعة ظهرت بعد خلافة سيدنا علي بالفعل ، عندما ظهر معاوية بن أبي سفيان كمعارض وطامع في الخلافة ، حتى لو انتهى الحال الى استخدام العنف لتنفيذ هدفه في الاستيلاء على الخلافة بالقوة ، ومن تشيع لسيدنا علي في هذا الخلاف ، أصبح لهم هذا الاسم ..

وجاء من يقول أن الشيعة ظهرت مع سيدنا الحسن ، ثم سيدنا الحسين ، أو ظهرت مع جعفر الصادق ، وهكذا غير أن الاتفاق بين العلماء قد أظهر أن الشيعة لم تظهر بمفهومها الحالي الا خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وأنها تأثرت كثيرا بما دخل عليها من جانب اليهود ، والفرس والهنود والفلسفات التي ظهرت تراجمها فيما بعد على أيدي الشعوبيين من مختلف الامصار التي فتحها المسلمون الاوائل .. وتزايد نمو الشيعة ، بعد ذلك ، وتعددت فرقها ، وكثرت مذاهبها ، غير أنها جميعا أظهرت ميلا واضحا في مناقشة قضية الحكم والخلافة في الدولة الاسلامية ، وكانت لديهم الرغبة في كل الاوقات في التطلع الى السلطة والحكم ..

على أي حال ، فان الخلاف بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة في لبنان ، لم يكن قائما الا حول قضية الخلافة والحكم ، أما جوهر العقيدة فهو واحد ، غير أن طبيعة الحياة السياسية اللبنانية ، القائمة أصلا على أساس طائفي ، جعلت كل طائفة دينية تعيش داخل أسوارها ، وأفكارها الخاصة ، والطوائف الاسلامية الثلاث

فى لبنان ، تعيش من بين أربع عشرة طائفة دينية اخرى غير اسلامية تتواجد على الساحة اللبنانية من قـــديم الزمان ..

***

كانت الشيعة اللبنانية تعتقد أن حمايتهـا من مظالم الاتراك والفرنسيين ، تأتى من جانب سوريا ، غير أن هذه الامال قد انهارت عقب انهيار حكم الملك فيصل فى دمشق، وعندما جاء حكم الانتداب الفرنسى كان موقف الشـيعة سلبيا من المحتلين الاجانب ، وبالتالى ابعدهم الفرنسيون عن الوظائف والحياة العامة ، وكانت نظرة الازدراء لهم شاملة ، وكان طموح كل رجل شيعى لا يتعدى احتمال انخراطه فى وظيفة جندى كطريق وحيد للرقى الأجتماعى .

مع تباشير الاسـتقلال ، كانت الشـيعة فى وضـــع افضل ، وبسبب مشاركتهم فى الحركة الوطنية اللبنانية ظهر تواجدهم السياسى واضحا عقب استقلال لبنان عام ١٩٤٣ .

وعندما زاد عدد نواب البرلمان اللبنانى ليصل الى ٩٩ نائبا ، كان نصيب طائفة الشيعة قد وصل الى ١٩ نائبـا فى مجلس النواب ، وكانت طائفة السنة قد حصلت على ٢٠ مقعدا ، بينما احتفظ الموارنة لانفسهم بثلاثين مقعدا .

وعندما توزعت المناصب الرئاسية بين الطوائف ، وفاز الموارنة برئاسة الجمهورية ، وكانت رئاسة الوزارة لمسلم سنى ، حصل الشيعة على رئاسة مجلس النواب ..

واصبح لطائفة الشيعة وزيران فى كل حكومة لبنانية .

وحتى نهاية الخمسينات ، لم تكن احوال الشــــيعة مرضية بوجه عام ، ولم تكن لهم احزاب سياسية ،وكانت

لهم بعض الزعامات التقليدية فى الجنوب غير أن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ظلت كما هى فى أدنى درجات السلم الاجتماعى فى لبنان ..

وفى الستينات بدأت تظهر مطالبهم فى المشاركة بنصيب أكبر فى الحكم والوظائف العامة ، كانوا يحصلون على مايوازى ١٤٪ من وظائف الدرجة الاولى الى جانب ٢٨٪ من مجموع وظائف الدرجة الثانية فى الدولة ، غير أنهم كانوا يطالبون بالمزيد ، وقالوا لابد لنا من ٢٠٪ من جميع درجات السلطة ..

وفى مايو ١٩٦٢ تقدم أحد نواب الشيعة بطلب لمجلس النواب ، يريد مشاركة طائفة الشيعة فى مناصب القضاء وعندما تم رفض الطلب بحجة أنه لايوجد بينهم من هو مؤهل لمثل هذا المنصب ، طالب النواب الشيعة فى المجلس بضرورة استقالة الوزراء الشيعة من الحكومة ..

***

وقبل الظهور المفاجىء للامام موسى الصدر ، كانت الشيعة موزعة الولاء بين زعامتين تقليديتين ، أحدهما هو السيد كامل الاسعد والثانى هو السيد صبرى حمادة ، كانت قوائمهما الانتخابية تفوز بالكامل فى كل انتخابات ، كان نفوذ الاسعد بين الشيعة فى جنوب لبنان ، وكان صبرى حمادة يسيطر على شيعة البقاع ..

تغيرت الخارطة السياسية تماما بعد بروز نجم الامام موسى الصدر ، وسوف ترتبط كل تحركات الشيعة منذ منتصف الستينات حتى نهاية السبعينات بقصة الامام موسى الصدر .

حتى المعارك الأخيرة التي خاضها الشـــيعة فى بيروت أوائل سبتمبر الماضي مع الجيش اللبنانى ، وتمــكنت خلالها عناصر منظمه امل من السيطره على قناهالتليفزيون اللبناني لمده ساعات ، كان الهدف الاول للشــــيعة مـن الاستيلاء على التليفزيون هو اظهار صور الامام على شاشه التليفزيون بمناسبة مرور خمس سنوات على قصه اختفائه الغامض !.

وللشيعة عموما ، مايشبه الانبهار بالامام المختفى ، او الامام المنتظر ، باعتبار أن ظهور « المهدى المنتظر » فى آخر الزمان هو من أبرز معتقداتهم ..

ان قصة الامام موسى الصدر فى لبنان ، كزعيم للشيعة هناك ، تضم كل عناصر الاثارة ، التى ترضى عامة الناس خاصة اذا كانوا من طائفة الشيعة ..

لقـد ظهر الامام موسى الصـــدر فجأة كزعيم لطائفـة الشيعة فى لبنان ، أواسط الستينات ، فى ذلك الوقت وعندما لم يكن الصدر معروفا لعامة الناس من طائفـة الشيعة ، قالت الصحف اللبنانية أنه أمام وابن امام ، وابن أمام ، غير أن السيرة الذاتية للزعيم الدينى والسياسى للشيعة فى لبنان لم يكن يعرفها أحد ، هكذا بدأ دون تعريف بطفولته ، وماهي دراسته ، ومن هم شيوخه ، ولماذا ظهر فجأة كبدر مكتمل فى ليلة صيفية لبنانية .. كل ما قيـل عن الامام طوال فترة نشاطه الدءوب كان يدور حـول أوصافه ، كان يقال بالامام الجرىء ، الامام الوسـيم ، الخطيب العصرى ، صاحب الجاذبية الجماهيرية وهكذا ، ويبدو أنه كان كذلك بالفعل ..

ان احدا لم يقل أن موسى الصدر كان رجلا ايرانيا ، تم ارساله الى لبنان ، لرعاية طائفة الشيعة ، باعتبار ان أحوال الطائفة لم تكن مرضية فى ظل زعامة تقليدية منغمسة فى لعبة الحكم والسلطة مع أطراف أخرى لايعنيها فى شىء اصلاح أحوال هؤلاء الناس .. ومادامت كل الاطراف الاجنبية لها مصالح وأدوات معترف بها فى لبنان، فلماذا لا يكون للايرانيين ومذهبهم الشيعى تواجد مقيم فى لبنان ... ؟!

وبالفعل ، قام الامام موسى الصدر بما ينبغى أن يكون ، واكثر مما هو مطلوب ايضا ، طاف بكل قرى الجنوب ، عاش فى البقاع ، تحدث مع جميع افراد الطائفة تقريبا فى أماكن تواجدهم حيث يعيشون ، حدثهم عن الحرمان الذى يعيشون فيه ، أثار مشاعرهم ضد ماوصفه بالمظالم التى يتعرضون لها ، حدثهم عن أهمية القوة كطريق للحصول على الحقوق ، حبب اليهم حمل السلاح ، كانت مظاهرات أهل الشيعة وهم يحملون السلاح تقابله فى بعلبك والهرمل وكان الامام موسى الصدر هو الذى أطلق عبارته الشهيرة التى تقول بأن « السلاح زينة الرجال » .. وكان الامام من جانبه سخيا فى توزيع السلاح أكثر من السخاء الذى كان يقدمه عن شئون العقيدة ...

وفى أول انتخابات نيابية بعد بروز صيت الامام ، انتصرت القائمة التى قدمها ، واظهر أنه أكثر شعبية من كامل الاسعد ، وصبرى حماده ، وهكذا أصبح الامام موسى الصدر ، نجم السياسة والدين فى لبنان ، وصار

الجميع يذهبون اليه لنوال البركة ، حتى كبار رجـــال الدوله بمن فيهم الوزراء ورئيس الوزراء . وبدا يعقــد المؤتمرات الصحفية ، ويقوم بزيارات رسمية لكل الدول العربية ، ويقابل الملوك والرؤساء ، ويحظى بالرعـــــايه والتكريم ..

وعندما حاولت الدولة اللبنانية التدخل بعد بروز قوة الصدر ، وبدأت تعطيه بقدر ماتعطى كامل أسعد أو صبرى حمادة ثار الامام ، وطالب بالمزيد .

وقبل بداية السبعينات ، بدأ الامام الصدر يتحدث عن تكوين حركات شعبية منظمة تضم الشيعة يسميها تارة بحركة المحرومين وتارة أخرى يسميها حركة أبناء على ، غير أنه فى عام ١٩٧٠ كان على استعداد للاعلان عن أول تنظيم سياسى شيعى له ميليشياته العســـكرية ، وتم تأسيس المجلس الشيعى الاعلى عام ١٩٧٠ كهيئة سياسية طائفية ، ثم ألحق بها جناحا عسكريا ، سماه حركة أمل .... وهى التى تضم ميلشيات الشـــيعة حتى الان ، وتخوض مثل غيرها على الساحة اللبنانية أعنف المعارك .

وهكذا أصبح الصدر زعيما دينيا ، وقائدا عسكريا ، يحظى بانبهار طائفة افتقدث القيادة السليمة طول تاريخها فى لبنان .. وواصل الامام جولاته فى كل أنحاء لبنان ، وعقد المؤتمرات السياسية ، وأدلى بالتصريحات للمراسلين الاجانب ، ولم يكف لحظة عن التجوال بين الجنـــوب ، والبقاع ، والجبل والساحل ، وكان حديثه المفضل فى كل مكان ، هو حديث الحرمان ، وكيف أن السلاح هو زينة الرجال ..

وبدأ يتصل برؤساء الدول ، ويزور مختلف العواصم ،

وتظهر صورة وتصريحاته فى كل مكان ، وكان أهتمـام الصحف اللبنانية بالامام مبالغا فيه فى كل الاحوال ...

وقبل أن تنشب الحرب الاهلية فى لبنان عام ١٩٧٥ ، كان الجميع يتوقعون أن تقوم الشيعة ، بسبب التحريض المستمر للامام ، بالمهمة ، ان تقود الشيعة الثورة ضـد كل ماهو قائم فى لبنان ، غير أن الذى حدث كان عكس ذلك تماما .. تنكر الامام موسى الصدر تماما لمن رفعوه لعنان السماء ، تحالف مع الموارنة ، وخطب ود الامريكيين وشجع على ذبح الفلسطينيين !!..

وقف الامام ضد امانى الفقراء والمحرومين والمطرودين واحتقر الفقراء والغرباء كافة !!.

وطوال السنوات الاولى للثورة ، ظهر أن الامام هـو رجل سوريا القوى فى لبنان ، وانه يشترك فى طرد وذبح الفلسطينيين الغرباء ، ووقف الامام فى الصف المـؤيد للطائفية وتعميقها وتثبيتها واصبحت كل خطب الامام تمجد التعددية باعتبارها نعمة لبنان وأكد أن الطائفية هى النوافذ الحضارية للبنان ، واتهم كل من يطالب بالغاء الطائفيـة بأنه يريد اغلاق الابواب والنوافذ اللبنانية . نفس الافكار والاقوال التى يشيعها غلاة الموارنة ، والتى يتشـبثون بها كطريق وحيد لتكريس الطائفية وهيمنتها على مصير الناس والحكم ، ووراثتهم أيضا ، وهكذا وقف الامـام فى الصف المعادى لافكار الثورة الاهلية التى طالبت بالغاء التعددية ، والغاء الطائفية ، وأن يكون لبنان للجميع ...!

وبدأت الشكوك تحيط بالامام من كل جانب ... بدأ المثقفون من الشيعة يقولون أن الصـدر هو النمـوذج المثالى للشيخ بيار الجميل ، لا فرق بينهما ، ماينادى به

الزعيم المارونى اليمينى ، الشيخ بيار ، هو نفس ماينادى به الامام الشيعى الثائر موسى الصدر ، الافكار متطابقة ، والوسائل متطابقة أيضا ، وقالوا أن رجلا مثله لا يمكنه أن يقوم بأى اصلاح من خلال مفهوم طائفى ضيق بحكم حياته وتفكيره ، وأصبحت حركته السياسية والعسكرية المتخفية تحت أردية الدين ، محل اتهام مباشر بأن الرجل يعمل من أجل التعمية والتغطية على نظام متداع ، بأمل استمراره حتى لو كان ذلك على حساب لبنان وشعب لبنان .

وهكذا ، كان الوقت قد أصبح مناسبا تماما ، لظهور حركات شيعية أخرى ، مجهولة المصدر ، مجهولة الاهداف تتحدث باسم الشيعة ، وتحكى باسم لبنان ، غير أنها بعيدة عن مصالح الشيعة ، فضلا عن مصلحة لبنان ذاته وعلينا أن نتوقع بعد هذا اللغط الذى دار حول طبيعة أفكار الامام الصدر وتناقضها ، علينا أن نتوقع ظهور تنظيمات شيعية جديدة ، تعلن أنها لا تعترف بالامام الصدر ، ولا تعترف بصبرى حمادة ، ولا تعترف أيضا بالسيد كامل الاسعد ، ظهر التنظيم الثورى الشيعى المسلح ، الذى قال فى أول بياناته العلنية ، أنهم من أهل الشيعة ، وأنهم لبنانيون فى الاصل ، وانهم قاموا بعيدا عن الصدر أو غيره وأن هدف ظهورهم النهائى هو القضاء على الفلسطينيين المخربين .

وتوجهوا الى البطريرك المارونى يطلبون البركة ..!!

وكان واضحا أن الامام الصدر لم يكن بمفرده هو الذى خدع طائفة الشيعة ، وانما فتح الباب أيضا أمام تنظيمات أخرى تظهر وتتحدث باسم الشيعة ، ولا تعمل لصالحها !!

وفى شهر سبتمبر ١٩٧٨ ، اختفى الامام الصدر ، ولم يظهر له وجود حتى الان ، وان كانت منظمته مازالت قائمة .

اختفى الامام خلال الفترة القصيرة الحرجة التى سبقت نجاح الثورة التى قادها رجال الدين فى ايران ، وكانت أول المظاهرات الشيعية التى طافت شوارع طهران بعد نجاح الثورة ، تحمل صورا للامام موسى الصدر ، وتطالب الامام الخومينى بالبحث عنه فى كل مكان .. !!

وقال الامام الخومينى فور توليه السلطة فى طهران ، كان الامام موسى الصدر ، يمثل العمق العربى لحركة الشعب الايرانى . ومع ذلك لم يبذل الامام الخومينى ، طوال السنوات التالية أى حرص للبحث عن الصدر ، أو السؤال عنه ، كما أن علاقة الامام الخومينى ظلت قوية طول الوقت بالرئيس معمر القذافى حتى الان ...

ومازالت قصة اختفاء الصدر ، بعد مرور خمس سنوات ، مثارا للجدل ، كما أن قضية هل مات أم مازال حيا ، مازالت أيضا محل خلاف ، وهل اختطفه رجال شاه ايران فى أيامه الاخيرة ، أم أن الزعيم الليبى معمر القذافى هو الذى احتجزه عند زيارته لليبيا ، أم أن الامام سافر الى ايطاليا حيث كان عرضة للاختطاف .

على أى حال ، تتفق قصة اختفاء الصدر مع قصة بداية ظهوره ، كلاهما يكتنفه الكثير من الغموض ، وان كانت القصة فى مجملها لم تكتمل بعد ، وان كانت فى الحقيقة تستحق عناية كتاب الرواية ..

ظهر نبيه برى كبديل للصدر بعد حادث اختفائه المثير لم يكن برى من رجال الدين ، فهو محـــام من المثقفين الشيعة الذين تلقوا دراسة فى الجامعة الامريكية فى بيروت واستكملها فى الولايات المتحدة الامريكية .. غير أنه كان المساعد الرئيسى للامام الصدر ، الذى أعطاه صلاحيـات هامة فى تأسيس وتنظيم منظمة أمل التى تضم ميليشيات الشيعة ، والتى كانت عناصرها قد تزايدت بشكل مطرد، بسبب النزوح الجماعى للعائلات الشيعية التى ســكنت الجنوب اللبنانى طوال قرون ، وهربت الى المدن ، وخاصة ضواحى بيروت أمام الهجمات العسكرية المتـكررة لجيش اسرائيل منذ بداية الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ وحتى الغزو الاسرائيلى العسكرى لجنوب لبنان فى الاسبوع الاول من يونيو عام ١٩٨٢ .

كانت الهجرة الشيعية من الجنوب شبه جماعيـــة ، طوال السنوات الثمانى الاخيرة ، تركوا مزارعهم ومراعيهم واستقروا فيما عرف بعد ذلك باسم حزام الفقر حـــول بيروت ، والشياح ، ولم يجد معظمهم عملا ، وعاشـــوا حيـاة اللاجئين ، غير أن الخريطة الســـكانية لبيروت وضواحيها كانت قد تغيرت معالمها تماما ، وعندما كـان الزحف العسكرى الاسرائيلى يتقدم نحو بيروت ، كـــان معظم ضحايا القنابل والصواريخ الاسرائيلية هم من بين أفراد الشيعة الذين هربوا من الجنوب ، لكى يموتوا داخل حزام البؤس فى بيروت وحولها .

ولم تكن منظمة أمل قادرة على القيام بأى عمل حتى تتجنب المصير التعس الذى يواجه الشيعة ، كشـــعب وطائفة ، وأعلنت تحالفها مع جبهة الخلاص الوطنى التى

كانت جاهزة لمواجهة الجيش والكتائب فيما بعد ، فى معارك الجبل مع ميلشيات الدروز . . .

وفى سبتمبر ١٩٨٣ ، عندما استشعر الجيش اللبنانى انه أصبح قادرا على عمل شيء ما لاثبات الوجود ، كانت منظمة أمل الشيعية هى أول الاهداف التى وجه الجيش اللبنانى لها نيرانه ، عقب الانسحاب المفـاجيء للقوات الاسرائيلية من منطقة جبال الشوف حيث الاكثرية الدرزية فى أوائل نفس الشهر سبتمبر .

وبعد ثلاثة أيام من القتال ، ظهر ان الجيش اللبنانى الحديث التكوين قادر على السيطرة على المناطق التى تتمتع فيها ميليشيات نبيه برى باى نفوذ .

وعندما حاول الجيش اللبنانى أن يواصل انتصاراته ، ظهر انه لم يعد قادرا على تحقيق أى هدف ، واضطرت قوات المارنيز الامريكية التدخل عسكريا لمساعدته ، بعد ان تأكد للامريكيين انه لا الجيش ولا ميليشيات الكتائب المارونية اليمينية قادرة على السيطرة على الموقف ، ثم اتسع القتال بتدخل مدافع وطائرات الاسطول السادس الامريكى ، ثم معاونة بقية أسلحة القوات الرباعية الغربية المتعددة الجنسية ، غير أنه بعد ثلاثة أسابيع من القتال الضارى ، ظهر أن الحرب الاهلية بدأ يتسع نطاقها ، وتفوق تحالف الدروز مع ميلشيات الشيعة ، وهددوا بالاستيلاء على قرية سوق الغرب بموقعها الحاكم ، ولم يعد الجيش اللبنانى ، أو ميلشيات الكتائب يمتلكان القدرة على عمل اى شيء . . وظهرت مخاوف عميقة حول احتمالات تدويل الصراع ، وكانت جيوش سوريا واسرائيل ، قد بدأت أقصى درجات الاستعداد ، عندئذ

فقط ، اقتنعت كل الاطراف بأهمية التوصل الى قرار بوقف اطلاق النار ، لالتقاط الانفاس .

بعد يوم ٢٢ سبتمبر ، عندما تقرر بالفعل وقف اطلاق النار ، بجهود عربية من جانب السعودية ، وموافقة سوريا ، كانت كل الدول المعنية تقريبا قد أرسلت ترحيبا مبالغا فيه بقرار وقف اطلاق النار ، الا دولة واحدة فقط وكانت هذه الدولة هي ايران .

ولاول مرة يظهر خلاف علنى بين سوريا وايران ، فى مسألة تتعلق بالصراع الدائر فى الشرق الاوسط ، فبينما كان وزير خارجية سوريا يقرر أن اعلان وقف اطلاق النار فى لبنان ، هو قرار تاريخى ، كان راديو طهران على الجانب الاخر ، يقرر ان وقف اطلاق النار جاء لصالح الاستعماريين ، مع ملاحظة أن الشيعة فى لبنان كانوا أول من استفاد من قرار وقف اطلاق النار ، لانهم كانوا أول ضحايا القتال .

لقد أصبحت المسألة اكثر تعقيدا فيما بعد ، لان منظمة أمل الشيعية العسكرية ، قد جرى اتهامها بأنها تقبل بالمعونات العسكرية من جانب سوريا والفلسطينيين والليبيين ، بل والايرانيين أيضا ، وكان راديو الكتائب هو الذى يذيع بالحاح كل هذه الاتهامات ، غير ان النتائج التى كانت سلبية فى مجملها بالنسبة لصراع « أمل » الشيعية مع الجيش اللبنانى وميليشيات الكتائب ، تضع شكوكا كثيرة حول اهمية مثل هذا الدعم او مدى فاعليته بالنسبة للشيعة اللبنانية .. كما أنه أيضا اظهر خلافا بين سوريا وصديقتها ايران حول المسألة اللبنانية ..

عندما تقرر وقف اطلاق النار ، كانت منظمـــة أمل الشيعية ، عضوا فى اللجنة العسكرية التى تم تشكيلها من مختلف الاطراف اللبنانية للاشراف على وقف اطـــلاق النار ..

وعندما تم التوصل أيضا بنجاح الى تشكيل لجنة الوفاق الوطنى ، أو لجنة المصالحة ، كما يسمونها فى لبنان ، فان الشيعة ايضا سوف تكون ممثلة داخل هذه اللجنـــة ، وسيكون لديها ماتقوله ، ربما اكثر مما سوف تقـــوله غيرها من بقية الطوائف اللبنانية ..

ان كل طائفة فى لبنان تمتلك أرضا تقف عليها ، وتعيش فوقها ، الا طائفة الشيعة التى فقدت أرضها فى جنـــوب لبنان ، عندما استولت اسرائيل عليها فى بداية الغزو ، وعندما استقرت فى داخلها بعد انسحابها الجزئى مـــن جنوب نهر الاولى .

***

بعد وضوح رغبة اسرائيل ، فى البقـــاء فى الجنوب ، ظهر انه لم يعد الاعتماد على سعد حداد مضمونا بما فيه الكفاية ، كوسيلة وحيدة ، لابعاد المتاعب المحتملة مـــن افراد الشيعة أصحاب المنطقة ، كذلك ظهر للاسرائيليين ان التحالف مع الكتائب لم يعد قويا بالقـــدر الـــكافى لان الحليف الكتائبى أصبح يمثل عبئا اضافيا بالنســـبة للاحتلال الاسرائيلى ، وعندما برزت قوة الدروز فى صراعها مع ميلشيات الكتائب ، آثرت اسرائيل فى البداية نوعا من الحياد بين الجانبين ، غير ان اهتمام اسرائيل ، كان قد تركز حول محاولة احتواء طائفة الشيعة فى جنوب لبنان بأى ثمن ...

ظهر اهتمام الاسرائيليين ببعض العائلات الغنية من طائفة الشيعة فى الجنوب ، أعطوهم بعض الامتيازات وكثيرا من الاسلحة .. أعطوهم أيضا حق جباية الضرائب من ميناء صور ، لحسابهم الشخصى .. !!

أغروهم أيضا بمساحات كبيرة من الاراضى الزراعية لاستغلالها فى زراعة منتجات ممنوعة .

بالنسبة لفقراء الشيعة ، حاولوا اغراء بعضهم بأجور مرتفعة ، وقطع من السلاح ، لتكوين ميلشيات شيعية محلية ، تكون أكثر قبولا لدى السواد الاعظم من سكان الجنوب بعد أن تزايدت مظاهر العداء الشيعى لميلشيات سعد حداد أو الكتائب ، أو الجنود الاسرائيليين .

غير أنه مع احتفالات الشيعة فى جنوب لبنان ، بيوم عاشوراء ، فى منتصف اكتوبر ١٩٨٣ ، ظهر أن كل التجهيزات الاسرائيلية ، كانت مجرد أوهام ، وعندما حاولت قوات الاحتلال ، التظاهر بمشاركة الشيعة احتفالاتها الشعبية ، بيوم عاشوراء ، تفجرت المشاعر الدينية لدى الأهالى الذين اعتبروا التواجد العسكرى الاسرائيلى بينهم خلال احتفالاتهم ، أمرا يفوق الاحتمال ، ووقعت مصادمات دامية ، سقط فيها الجنود الاسرائيليون ومات كثيرون من السكان ، وأعلن الشيخ شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعى الاعلى ، الجهاد فى الجنوب ، وأفتى بأن التعاون مع الاحتلال ضد الدين ولم يكن أمام اسرائيل الا العمل على ايقاف التدهور فى الجنوب .

ولان الشيعة هم الذين فقدوا أرضهم بالفعل فى الجنوب ، فهم وقود المعارك الحالية ، تستغلهم سوريا وايران وليبيا ، الذين يدركون مأساة هذه الطائفة التى

تعيش دون أرض ، والذين تلهبهم قضية الانتماء الوطنى، وقيادتهم لمعظم العمليات الفدائية ضد الاحتلال العسكرى الاسرائيلى فى جنوب لبنان ، فقد نجحت عناصر الشيعة فى ضرب مركز القيادة العسكرية ومركز الحكم العسكرى الاسرائيلى فى صور ، كما جعلت حيـــاة أفراد الجيش الاسرائيلى فى قلق دائم ، وكان طبيعيا أن يتحـــالف السوريون مع عناصر متطرفة من الشيعة تم اتهامهم بضرب المقرات العسكرية للقوات الامريكية والفرنسية .

تعيش الشيعة اللبنانية حاليا ، داخل لبنان ، فى معظمها حياة اللاجئين ، ولن يعود التوازن أو الاستقرار فى لبنان الا اذا عاد مايوازى ثلث الشعب اللبنانى ، الى قراهم ، ومزارعهم ، وبيوتهم جنوبى لبنان ، ولن يتم ذلك الا بانسحاب اسرائيل النهائى من الجنوب ، الى ان يتم ذلك سيكون كل تحرك طائفى او اجنبى داخـل لبنان ، سواء بالوسائل السياسية ، أو المعدات العسكرية هو من قبيل الهروب من الاتجاه الصحيح ، نحو الحل الصحيح .. انسحاب اسرائيل من جنوب لبنان ، ومن كل اراضى لبنان .. وسوف تجد الشيعة ، وبقيـــة الطوائف اللبنانية حلا لمشاكلهم الخاصة داخل بيتهم اللبنانى .

فى بيروت يوم ٢٣ اكتوبر ١٩٨٣ ، وبعدها تم تصعيد التواجد العسكرى الامريكى فى بيروت ، واعلنت الادارة الامريكية انها تتهم عناصر شيعية لبنانية متطرفة بالتعاون مع ايران وسوريا على مقتل ٢٣٠ جنديا امريكيا فى مقر قيادة قوات المارينز قرب مطار بيروت ، واشـــتركت الطائرات الامريكية والفرنسية ، فى ضرب كل المواقع

التى اعتقد الحلفاء بتواجد معسكرات شيعية بداخلهـــا سواء فى الجنوب أو البقاع وفى كل مكان فى لبنان ..

كما قامت الطائرات الاسرائيلية بضرب مواقع منتقـاة على طول أرض لبنان وعرضها ، بحجة تعقب أوكـــار المتطرفين من الشيعة ...

وتراجعت الدبلوماسية الامريكية عن توددها التقليدى الذى دام عدة شهور تجاه سوريا ، وبدأت الطـــائرات الامريكية تضرب مواقع لقوات عسكرية سورية فى سهل البقاع انتقاما لتشجيع سوريا للمتطرفين الشـــــيعة ، وكانت سوريا قد أنكرت طوال الوقت أية علاقة لها بمثل هذه الحوادث ..

ولم تحاول الولايات المتحدة اتخاذ أى موقف تجـــاه ايران ، رغم الاتهام الامريكى الصريح بأنها وراء حـوادث النسف التى اضرت بالهيبة الامريكية فى طول المنطقـة وعرضها .

كذلك لم تحاول الولايات المتحدة ادراك أن الشيعة فى لبنان ، هم الطائفة الوحيدة الذين فقدوا أرضـــهم فى جنوب لبنان ، وان اسرائيل تحتل أراضيهم بالوســائل العسكرية ، وانه لا مناص لكل أفراد هذه الطائفة الا حمل السلاح لمقاومة الاحتلال الاسرائيلى ، وطرده من أراضيهم وانه مادامت الولايات المتحدة تؤيد الاسرائيليين عــلى احتلال أراضى طائفة الشيعة فى جنوب لبنان ، بينمـا تنصح اسرائيل بالانسحاب من مناطق تعيش فيها الموارنة وميلشيات الكتائب ، فان الولايات المتحدة تزيـــد فى الحقيقة تشجيع العنف فى لبنان ، وتشجيع طائفـــة الشيعة بوجه خاص ، لان مقاومة احتلال الاراضى امـر

مشروع وتقره كل المواثيق الدولية ، ولن يجدى اتهام سوريا أو ايران بأنها وراء تشجيع أعمال العنف من جانب الشيعة ، الا اذا كان مثل هذا التشجيع يعتبر على الاقل متساويا مع تشجيع أمريكا واسرائيل باحتلالهما لجنوب لبنان موطن طائفة الشيعة ، ببروز نوع من المقاومة الشعبية والوطنية لمقاومة المحتلين ، ولن نبحث بعد ذلك عن هوية المقاومة اذا كانت شيعية أو سنية أو يهودية ..

الفصل الخامس

جبهة الخلاص الوطنى

مع بداية أغسطس ١٩٨٣ أصبحت المسألة اللبنانيـة لغزا غير قابل للحل ، فرقاء كثيرون داخل لبنان وحولها وخارج المنطقة أيضا ، يهمهم كثيرا تعتيم القضية بالقـدر الذى يوحى باليأس ، يكفى أن نستمع لاول مـرة عبر التاريخ الاستعمارى كله ، بأصوات تنادى قوات الاحتلال بالبقاء مدة أطول فى دولة محتلة ، الاستعمار عبر التاريخ يرتبط بمقاومته ، هكذا علمتنا الحياة .

فى مسألة احتلال لبنان ، سوف نجد من يقـول باستحسان بقاء قوات الاحتلال الاسرائيلى حيث هى فى مواقع انتشارها فى الجنوب والوسط والجبل ، ومناطق الشمال ، لفترة لا أحد يستطيع تحديد موعد لنهايتهـا ، كأن اسرائيل بريئة من كل العواصف التى تدمر شعب وارض لبنان منذ عام ١٩٧٥ ، كان أمل الاجتياح الاسرائيلى لاراضى لبنان بفظائعه الماثلة فى الاذهان ، أن يخمد الروح اللبنانية وينصر فريقا على فريق بشكل مطلق ، ويكرس انقسـام

لبنـــان الى الابد ، لم تكن اتفـــاقية شوليتز الموقعـــة في ١٧ مايو نهاية المطاف كما توقع المتفائلون ، كـانت الاتفاقية تنظم خروج الاسرائيليين النهائى من أراضي لبنان، غير أنه لسبب ما،طولبت سوريا عنوة بوضع توقيعها غيابيا على الاتفاقية اللبنانية ـ الاسرائيلية ، التى تم ابرامهـا بمجهود شخصى من جانب وزير الخارجية الامريكية شولتز ... عندما رفضت سوريا الالتزام باتفاقية لا تعرف عنها شيئا ، تفجر الوضع الداخلى اللبنانى بالقدر الذى سمح للاسرائيليين فى التفكير فى اجراء عملية اعادة انتشـــار لقوات احتلالها فى الاراضى اللبنانية ، يمنحها فرصـــة فصل الجنوب اللبنانى حتى نهر الاولى بشكل نهائى عـن الدولة اللبنانية .

غير ان القضية لم يتم تقديمها للراى العام العربى بهذا الشكل .

ان الدعايات الاسرائيلية والامريكية ، تسهم بتقـــديم الواقع اللبنانى بما يوحى بيأس البلدين من تقديم أى عون ما لصالح لبنان والشعب اللبنانى ، وهذا خطأ جسـيم اذا تصورنا لحظة بصدق دعواه ..

عندما سافر الرئيس أمين الجميل الى واشنطن فى ٢٢ يوليو ١٩٨٣ ، كانت المفاجأة الاسرائيلية فى انتظـــاره ، أعلنت اسرائيل أنها ستعيد نشر قواتها بالقدر الذى يسمح باشعال الحرب الاهلية ولم تقل انها تريد احتلال جنوب لبنان . ابتلعت واشـنطن التحية الاسرائيلية المهـــداة

لصديقها اللبنانى عشية وصوله الى العاصمة الامريكية ، كانت الولايات المتحدة ترفض فكرة انسحاب جزئى من جانب اسرائيل دون أن يكون فى اطار خطة انسحاب كاملة، غير أن الامريكيين تراجعوا عن هذا الشرط ، بل وقدموا أكثر من تبرير لصالح اسرائيل . ثم تركوا اللبنانيين نهبا لشكوك عميقة حول جدوى الثقة الكاملة التى يمنحها الحكم اللبنانى للاصدقاء الامريكيين .

كان من المنطقى اشعال الموقف الداخلى فى لبنان ، بعد القرار الاسرائيلى بالخندقة فى الجنوب ، كان رد الفعل الفورى هو الاعلان عن ماعرف بجبهة الخلاص الوطنى اللبنانية ، تمكن الزعيم الدرزى وليد جنبلاط ، من تأسيس جبهة الخلاص بمشاركة زعماء مثل الرئيس اللبنانى الاسبق سليمان فرنجية ، ورئيس الوزراء الاسبق رشيد كرامى وهو من زعماء المسلمين السنة ، وسرعان ما أعلن نبيه برى زعيم الشيعة تعاطفه مع أهداف جبهة الخلاص الوطنى .

وكما استمع الرئيس اللبنانى ـ بخبر تكريس الاحتلال الاسرائيلى فى الجنوب ، وهو فى امريكا ، استمع أيضا وهو فى نفس الزيارة الى خبر تشكيل جبهة الخلاص الوطنى،قامت ضجة كبرى حول اعلان الجبهة . تم تقديمها للرئيس اللبنانى باعتبارها تهديدا لصلاحياته ، حكومة أخرى بديلة ، صراع على السلطة بين الشرعية وبين مالا شرعية لهم ، رغم أن الجبهة قامت عقب الاعلان الاسرائيلى بالاحتلال الرسمى للجنوب ، ولم تعلن هذه الجبهة فور تنصيب الرئيس أمين الجميل رئيسا للبنان بتعاطف كامل من جانب زعماء جبهة الخلاص على وجه الخصوص ،

لكن الدعايات المعادية ، قدمته صراعا على السلطة ، لم يكن أمام الرئيس الجميل الا انتقاد الجبهة والمخططين لها بمرارة ، لم ينتظر العودة الى لبنان ، هاجم الجميع وهو مازال فى الولايات المتحدة ، عاود الهجوم وهو فى باريس فى طريق العودة ، اتهم الجبهة بأنها معارضة محمولة على طائرة هليكوبتر سورية ، مشيرا الى تعاطف السوريين الطبيعى مع الجبهة التى تقول أن سبب قيامها أساسا ، هو معارضة الاحتلال الاسرائيلي والعمل على الخلاص منه ..

كان تداعى مسلسل العنف هو الامر المتوقع أيضا ، تم ضرب بيروت بالصواريخ ، دافع زعماء جبهة الخلاص عن انفسهم بحملة كلامية موسعة ، قالوا انهم يعارضون الاحتلال الاجنبى ، ويعارضون أيضا حكم الحزب الواحد فى لبنان . وهو ضرب الكتائب اليمينى ..

لم تعد المسألة ، معارضة وطنية يفرزها الواقع المتداعى للاحداث اللبنانية ، فى وجه الاحتلال الاسرائيلى ، غير أنه تم توجيهها لتكون نزاعا مع السلطة .. والرئيس أمين الجميل يقول منذ بداية ولايته أنه يراس حكومة انقاذ وطنى ، يريد تخليص البلاد من الاحتلالات الاجنبية وعودة الشرعية والوحدة لشعبه ، من الطريف أن هذا الشعار نفسه الذى يرفعه الرئيس ، هو نفس الاسم الذى اختارته جبهة الانقاذ الوطنى ، لنفسها ، وهى أيضا الشعارات التى تقول أنها قامت من اجلها ، هذا التوافق فى اللفظ والمعنى هل يستوجب تعاونا ، أم يصل الى حد التراشق اللفظى ثم التراشق بالصواريخ والمدافع ، تقدم كل

الاطراف المبرر لاسرائيل بالتخلى عن بعض الأراضى لتكون ميدانا مفتوحا لنشوب حرب أهلية قادمة .

ان الشيخ بيار الجميل ، مؤسس حزب الكتائب ، يؤكد أنه لا يوجد اى تحفظ كتائبى على أى محادثات سياسية مع سوريا ، أعلن الشيخ أنهم جاهزون لبحث كل تفصيل يؤدى الى تنظيم العلاقة المميزة بين سوريا ولبنان ..

نفس مايقولونه فى جبهة الخلاص الوطنى ، لم يعد الحديث عن سوريا فى داخل لبنان محل اتهام مباشر الا من جانب امريكا واسرائيل ، لا توجد مشكلة حول توجهات الحكم ، وبين ماتنادى به جبهة الخلاص ، وبقية القوى الوطنية في لبنان ، زعماء الجبهة أنفسهم يؤكدون انهم يريدون الوفاق السياسى ، ان نقط الالتقاء هى الاوسع والاشمل ، وهى التى تستطيع جمع الشمل فى اطار العمل المشترك من أجل وحدة أراضى لبنان ووحدة شعبه ايضا . كانوا فى البداية يتحدثون فى لبنان عن الوفاق أكثر مما يتحدثون عن أى شىء آخر ، يتحدثون عن حكومة وطنية قوية ربما يتم التجهيز لها فى وقت مبكر وقدمت حكومة الوزان بالفعل استقالتها ولم يقبلها الرئيس الجميل ، كان الاقتراب الحثيث بين جبهة الخلاص ، وحكومة الانقاذ هو مايطلبه العرب من كل لبنانى .

ان الحوار السورى ـ اللبنانى سيكون أكثر كفاءة من استثمار ورقة المقاومة الفلسطينية التى استخدمتها سوريا لصالحها بطريقة تدعو للدهشة ، أن استبدال فيليب حبيب بوسيط أمريكى آخر يمكن ادراجه داخل اطار النجاحات السورية المتوالية ، كان حبيب مرفوضا

من دمشق منذ البداية ، وعندما جاء بعده روبرت ماكفرلين قيل أن الايماءة الامريكية موجهة الى دمشق ، أن ذلك دليل على مدى ماتتمتع به سوريا ، اذا أضيف الى ذلك ترحيب الزعماء اللبنانيين على اختلاف ميولهم بأهمية المحاورة مع سوريا ، ثم ما يقال عن حكومة أردنية جديدة تكون أكثر اقترابا من سوريا ، وهكذا كان علينا أن نتوقع فى المرحلة القادمة ، ماهو أفضل لان البديل المطلوب ، والاقوى احتمالا هو الحرب الاهلية ، ونسف كل وفاق عربى ، وحصار أمريكى اسرائيلى ، ليجعل الشرق الاوسط فى مهب الريح . وهو ماوقع بالفعل فيما بعد ..!!

لقد وقعت الحرب الاهلية بالفعل ، وقام حزب الكتائب بمساندة الشرعية ، والقوات الامريكية ، بضرب قوات جبهة الخلاص الوطنى ، وتمكنت قوات الدروز من تهديد بيروت ، وحاصرت قرية دير القمر ، ولولا تدخل القوات الامريكية ، ثم تدخل القوات الفرنسية والاسرائيلية ، لسقط الحكم اللبنانى ، وعند نقطة الاقتراب من نهاية المأساة ، اشتركت الولايات المتحدة مع المملكة العربية السعودية فى تدبير عقد مؤتمر للمصالحة الوطنية اللبنانية ، وتم عقده فى جنيف فى أكتوبر ١٩٨٣ ، وحضره زعماء جبهة الخلاص الوطنى ، وانتهى الى اتفاق ينص على أن لبنان له هوية عربية ، واتفق المتفاوضون على تكليف الرئيس الجميل ببذل جهد دولى يستهدف بحث موضوع اتفاقية ١٧ مايو بين اسرائيل ولبنان ، وهو الموضوع الذى كان يهدد بنسف مؤتمر المصالحة قبل أن يبدأ ، واتفق المتفاوضون على معاودة الاجتماع مرة ثانية

بعد أسابيع ، عندما يتمكن الرئيس الجميل من التوصل الى حل ..

وبعد العودة الى بيروت ، سارع الشيخ الجميل الاب ، بالاعتراض على ماتوصل اليه المؤتمر عن هوية لبنان العربية ، وقال ان المسألة قابلة للنقاش ..

وسافر الرئيس الجميل الابن فى جولة مطولة لم تصل الى اى هدف ، وقيل أنه عند اجتماعه بالرئيس الامريكى فى واشنطن ، لم يتحدث قط عن اتفاقية ١٧ مايو ..

ولم تجتمع عناصر مؤتمر المصالحة مرة أخرى فى جنيف أو غيرها ، وعادت الحرب الاهلية من جديد بين الحكومة والجيش اللبنانى وميلشيات الكتائب من ناحية ، وبين ميلشيات الدروز والشيعة من جهة اخرى ، وانتهى الحديث عن حكومة انقاذ وطنى ، أو مصالحة وطنية ؛ واصبح الحكم القائم فى لبنان أكثر اقترابا من القوات الامريكية فى لبنان ، ودارت شكوك دولية كثيرة حول حكم الرئيس أمين الجميل الذى استنفد أغراضه ، وبدأ الحديث عن احتمالات انقلاب عسكرى ، تؤيده أمريكا ، لعله ينجح فى عودة الوفاق بين الطوائف اللبنانية ..

الفصل السادس :

الفلسطينيون يخرجون من لبـنان مـرتين

بعد احد عشر شهرا من غزو اسرائيـل البنـان ، وسبعة اشهر من رحيل الفلسطينيين عن بيروت حظيت حركة فتح كبرى منظمات تحرير فلسطين ، بالاهتمـام الرئيسى ، وقع الخلاف داخل منظمة عرفات ، انشقت مجموعة من الضباط فى الجناح العسكرى لفتح على أوامر القيادة ، رفضت تنفيذ التعليمات ، تدخلت منظمـات فلسطينية صغيرة فى الخلاف ، بهدف تصعيده ، ظهـر العقيد القذافى فى الوضع اللائق ، أشعل عناصر الفتنة ، اشتكى ابو عمار من تدخل الآخرين فى شئون المنظمة ..
لم يبدأ الخلاف داخل فتح فى منتصف مايو ١٩٨٣ ، كما قيل على نطاق واسع ، كان الخلاف موجودا قبل ذلك بأحد عشر شهرا ، بالتحديد كان عقب الخروج الدرامى للقوات الفلسطينية من بيروت بضمانات عربية أمريكية ، ثم كان بعدها ما كان ، لم يكن الخلاف بسبب التعيينات الجديدة لبعض القيادات الفلسطينية فى البقاع ، ورفض بعض الضباط تنفيذها ، كانت بذور الخلاف قائمة قبل ذلك بكثير ، كانت التعيينات الجديدة هى النقطة التى أصبح بعدها الخلاف مطروحا خارج اطـار الانضـباط والشرعية ، ثم بدأت بعدها كل الاطراف تلعب على الرهان الفلسطينى بمجمله .

بدأ الخلاف ، بعد توزيع المقاتلين الفلسطينيين على ثمان دول عربية ، عقب الخروج من بيروت ، كل الوطن العربى يقـــدم أكثر من سؤال ، عن طبيعة هــذا الخــروج ، وجدواه ، احتمالات نتائجه ، ولم تكن السفن اليونانية المؤجرة ، قد تركت بعد ، رصيف ميناء بيروت ، محمــلة بالجنود والضباط الفلسطينيين فى اتجاه المجهول ، هــذه الاسئلة وغيرها ، حملها فى قلوبهم ، وحقائبهم ، كـــل الفلسطينيين الذين صمدوا حصار بيروت ثلاثة أشــهر ، وعندما طلبت منهم قيادتهم الرحيل ، نفذوا الاداء ، ان منظمة فتح بمفردها تمثل ٨٠٪ من البنية العســكرية والسياسية لمنظمة تحرير فلسطين ، يمكن عندئذ أن نفهم أن معظم المقاتلين الصامدين فى بيروت ، الذين نفذوا أوامر الرحيل ، ثم تمركزوا داخل ثمان دول عربية ، من بينها سوريا .. هم من منظمة فتح اذا عرفنا أيضا أنه الى جانب منظمة فتح توجد ٧ منظمات فلسطينية اخـرى صغيرة ، تشكل فى مجموعها القرار السياسى لمنظمة تحرير فلسطين ، يمكن أيضا أن ندرك أن القرار السياسى لمنظمة تحرير فلسطين رهن بموقف فتح التى تمثل ٨٠٪ مـن مجمل الاصوات داخل المنظمة بكافة دوائرها السياسية ومجالسها الديمقراطية ، أو تنظيماتها العسكرية ، يقدم هذا الوضع المغرى لمنظمة فتح بامكانياتها الكاسحة ، ان تفرض دبكتاتورية على بقية المنظمات الاخرى الصغيرة داخل المؤسسة الفلسطينية ، المدهش أن فتح لم تحاول ذلك مطلقا طوال تاريخها الممتد عبر ٢٠ عاما .

لقد رفضت فتح أكثر من اغراء داخلى ، ونصـــيحة خارجية ، بأن تستخدم وحدتها وانضباطها ، فضـــلا عن

قدرتها الكاسحة على فرض قرارها داخل منظمة تحرير فلسطين ، كما أن ياسر عرفات لم يحاول أيضا ، فرض سيطرته على بقية المنظمات الصغيرة ، باعتباره قائد فتح، العمود الفقري للعمل الوطنى الفلسطينى .

هل كانت فتح على صواب ، فى التزامها العميق بالديمقراطية ، حتى لو انتهت الى نوع من الشلل ، او الفوضى ، غير أن الاجابة على السؤال صعبة ، كل الصعوبات التى تواجه العمل الوطنى الفلسطينى من داخله أو خارجه تنبع من عدم الاجابة على هذا السؤال الحائر . . السيد خالد الحسن ، من زعماء المنظمة ، يعترف بالمشكلة غير أنه لا يقدم لها حلا . ! يقول أنه شخصيا يعتقد أن الديمو قراطية التى وصلت الى حد الليبرالية الفوضية داخل فتح ، وداخل الساحة الفلسطينية ، شىء يجب أن يعاد النظر فيه على أساس ماورد فى الميثاق الوطنى الفلسطينى ، الالتزام بالديمقراطية المركزة .

هذا الاستطراد عن طبيعة العمل الديمقراطى داخل فتح ، مفتاح المدخل الطبيعى لما جرى داخل البقاع ، عندما خلط بعض الضباط بين ديمقراطية القرار السياسى ، وبين الانضباط العسكرى ، ثم ماترتب على ذلك الخلط من سلبيات عندما تناقش الفدائيون الفلسطينيون بعد الرحيل من بيروت ، كان أمام الجميع سؤال من شقين ، لابد من العثور على اجابة لهما .

- ماذا حدث فى بيروت للمقاتلين الفلسطينيين ؟
- ماهو مستقبل العمل العسكرى الفلسطينى بعد بيروت ؟!

دارت المناقشات داخل كافة الاطارات الفلسطينية فى العواصم العربية المضيفة للقوات ، بهدف تحصيل الدروس المستفادة من كل تجارب الماضى ، ثم التوصل الى صيغة عمل للمستقبل، ، كان مناخ الجدل فى معظمه داخل اطار الشرعية الفلسطينية بكافة مؤسساتها الديمقراطية والعسكرية .

من بين أكثر الاسئلة صعوبة وتم طرحها خلال هذه المناقشات ، الواسعة ، كان هذا السؤال أيضا !

● هل كان توزيع المقاتلين الفلسطينيين على عدة عواصم عربية بعيدة عن خطة الجبهة هو العمل السليم .

ام أن الاجدى كان تجميع كل العمل الفدائى على أرض واحدة عند نقطة التماس . على حدود الارض الفلسطينية ... ؟!

كان أنصار التوزيع يجدون ما يقولونه ، وجد انصار تجميع القوات على أرض واحدة ، ما يقولونه أيضا ، لم يكن هناك مايخشى الفلسطينيون طرحه للمناقشة ، فقد كانت المحنة دمعة مجمدة فى عيون الجميع ..

شهدت العواصم المضيفة للفدائيين كل هذه المجادلات أو سمحت بها ، الا دمشق ، لم تسمح بهذا النقاش مطلقا لذلك لم تكن صدفة أن عناصر التمرد على اجماع فتح هى من نفس عناصر الضباط الفلسطينيين الذين غادروا بيروت بعد الحرب ، الى سوريا ، حيث استقروا فى دمشق ، أبو صالح وأبو موسى قادة التمرد وغيرهما ، عاشوا فى سوريا ، وتعايشوا مع المنظمات الفلسطينية الصغيرة مثل الشعبية والديمقراطية حيث مقرآتها الرسمية فى سوريا،

كان موقفهما هو موقف حكومة سوريا ، هو نفس موقف منظمة احمد جبريل ، نفس موقف منظمة نايف حواتمة .

على امتداد الاحد عشر شهرا ، منذ الرحيل من بيروت حتى وقوع التمرد ، كان أبو صالح وأبو موسى ، لهما نفس مواقف سوريا فى كل المؤتمرات التى عقدتها منظمة تحرير فلسطين سواء فى تونس أو الجزائر أو عدن أو الكويت ، أبو صالح وأبو موسى فضلا عن كونهما ضابطين فهما أيضا أعضاء فى اللجنة المركزية لمنظمة فتح ، بالتالى من حقهما حضور كل المؤتمرات ذات الطبيعة السياسية داخل فتح ، وداخل منظمة تحرير فلسطين ، ولما كانت سوريا طوال هذه الفترة السابقة ترفض سياسة عرفات ، بما فيها اجتماعات عمان بين الملك الاردنى ، والزعيم الفلسطينى فقد ظهر أيضا أن أبا موسى وأبا صالح لديهما نفس الخط « لا » لقمة فاس ، « لا » لمبادرة ريجان ، « لا » لكنفودرالية مع الاردن «لا» لمجرد أى لقاء بين عناصر المنظمة مع العناصر الاسرائيلية التى تريد الاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين وحقوق الفلسطينيين المشروعة .

كل هذه المواقف المعاكسة من جانب أبى صالح ورفاقه ، كانت محتملة داخل فتح ، كذلك كان من الممكن ايجاد الوسيلة لاحتواء مثل هذه الافكار باعتبارها مطروحة على نطاق واسع داخل المنظمات الفلسطينية الصغيرة ، وداخل بعض الحكومات العربية مثل سوريا وليبيا .

كان لابى صالح مكتب سياسى معتمد من السوريين فى دمشق ، كما كان له أيضا مركز قيادة عسكرية فى سهل البقاع ، حيث توجد القوات السورية ، كيف يترك دمشق بعلاقاته السياسية الوثيقة التى نسجها مع

السوريين ، كيف يمكن له بسهولة أن يترك مركزا عسكريا مرموقا فى منطقة « تتعلق بها كل الانظار » وهى منطقة سهل البقاع اللبنانى ، حيث القوات السورية ، تربض مع ما تمثله من رموز دولية ، فى مواجهة قوات اسرائيلية مع ماترمز اليه أيضا . بين هؤلاء وأولئك ، توجد قوات أبى موسى وأبى صالح بكل ماترمز اليه من جانب الشعب الفلسطينى وبقية الامة العربية .

لم يكن أمام أبى صالح الا اعلان حالة العصيان بدأ الهجوم أولا ، على التعيينات العسكرية الجديدة ، قالوا لعرفات مصلحة شخصية فى هذه التعيينات ، قيل أن عرفات ، قام بتعيين الاصدقاء وغير الاكفاء ، تطوعت المنشورات فى دمشق باستكمال الصورة ، قيل أن عرفات يستبدل الضباط الذين ينادون بضرورة الحرب كوسيلة وحيدة للتحرير ، بضباط آخرين يريدون الحل السياسى ويفضلونه ، لان عرفات يرغب فى ايجاد مخرج سياسى للقضية ، قيل أيضا أن القرار الذى شمل استبدال ٥٠ من العسكريين بغيرهم فى البقاع ، قد طلب ترك لبنان والسفر الى تونس ليعيشوا هناك .. ومعنى هذا أن الحل السياسى هو المطروح فى المرحلة القادمة .. كلام فيه تحريض للقوات الفلسطينية الموجودة فى البقاع ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار حق المقاتلين الفلسطينيين الموجودين فى لبنان أن ينظروا الى اخوانهم الذين جرى توزيعهم على الخريطة العربية قبل عام ، لماذا خرجوا ، وماذا يفعلون ، وهل تقدمت القضية باخراجهم ، أم تزايد جمودها ؛ وهكذا يمكن أن نفهم طبيعة المشكلة ، لانه اذا كان من خرجوا من لبنان قبل عام تحت دعاوى كثيرة من دول

كبرى لم يجدوا الا السراب ، فان من حق الموجـــودين حاليا فى البقاع ان ينظروا بريبة لكل من يطالبهم بالخروج .

وبعد أشهر قليلة اضطر عرفات ورجاله لحفر الخنادق حول طرابلس شمالى لبنان ، غير أن مهاجمى عرفات ، كانوا هم أنصار أبى موسى وأبى صـــالح ، الى جـــانب السوريين ، والامريكيين ، والاسرائيليين ، وطالبت كل هذه القوى مجتمعة بخروج عرفات على الفور ، ولم يطلب احد من المتمردين وقائدهم أبى موسى ، أن يخـــرجوا ، ومازالوا هناك غير أنهم يعيشون فى كنف السوريين ..!!!

اخطر مواجهة ساخنة فى العالم

مع بداية ربيع عام ١٩٨٣ ، أصبح سهل البقاع اللبنانى يمثل أخطر مواجهة ساخنة فى العالم ، كانت القوتان الاعظم هناك وجها لوجه ، بالسلاح وآخر ما أنتجه العصر من وسائل التدمير ، لم يكن يفصل بين الجانبين أكثر من عشرين كيلومترا ، كانت أمريكا بأساطيلها فى البحر ، وقواتها فى بيروت ، فى حالة طوارىء ، تقف مع الحليف الاسرائيلى ، فى مواجهة الصواريخ السوفييتية والعسكريين السوفييت ، وأكثر من ٤٠ باخرة عسكرية فى عرض المتوسط ، تدعم الموقف السورى ، كانت أعصاب العالم كلها مشدودة ، فى اتجاه سهل البقاع فى لبنان .

نجحت القضية العربية فى الوصول بأزمتها المستعصية الى قمة الخطر العام ، غير انه لسبب ما ، انقلبت المائدة على رءوس العرب .

انتقل الموقف فى سهل البقاع ، من النجاح العربى فى ربط مأساته بمصير العالم ، الى قمة المأساة فى التاريخ العربى الحديث ، تمكنت القوى العظمى من الانسحاب بعيدا عن منابع الخطر ، لتكون المواجهة فى سهل البقاع اللبنانى ، بين أبناء الشعب الفلسطينى نفسه ، أصبحت دماء أكثر شعوب المنطقة تعاسة هى الفدية والضحية .

ماحدث فى البقاع ، صورة اخرى لما حدث فى ايران عندما كانت المواجهة عاتية بين ثورة ملهمة وبين الولايات المتحدة الامريكية ، لكى تتحول المواجهة فيما بعد بين ايران والعراق ، وتمتد بعدها أخطر حرب بين دولتين اسلاميتين عظيمتين ، بينما تستمتع الدولتان الاعظم بكل ما يصيب الشعبين من دمار وخراب ..

ماحدث فى البقاع اللبنانى ، لم يكن اضافة لسوريا . كما انه بالسالب لمجمل القضية العربية ، ماهو الاكثر خطرا جعل المسألة الفلسطينية عند الشارع العربى الذى احتضنها منذ البداية ، محل تساؤل لم يحدث من قبل ، اذا كان أمن سوريا يتم بمعزل عن أمن الفلسطينيين فهذا وهم ، كان أول تساؤل عربى عن أمن لبنان هو كيف يتحقق اذا تم بمعزل عن أمن سوريا ، ان اتفاقية شوليتز انتهكت حقوقا سورية لابد من مراجعتها ، القضية التى لم تتحدث عنها سوريا هى احتلال الجولان ، رغم أن وقتها هو الان ، قال الجنرال الاسد انه ينسحب من لبنان اذا انسحبت اسرائيل من هناك ، لكنه لم يذكر قط انسحابا موازيا للقوات الاسرائيلية من هضبة الجولان ، ان أحدا لايستطيع ان يلومه اذا كان قد رفعها فى مواجهة الضغوط التى طالبته بالانسحاب من لبنان ، لكنه لم يقلها ، الحسابات السورية البالغة الذكاء تركت الجولان لجولة اخرى !!

واذا لم تكن منظمة تحرير فلسطين القوية تشكل اضافة للموقف السورى ، كيف يكون الموقف السورى فى غياب المنظمة ، أو أن تكون تحت العباءة السورية ، لم تتمكن اسرائيل بمفردها ابعاد عرفات عن بيروت فدخلت الولايات المتحدة الامريكية بضمانات لم يعرف معظمها ،

تدخلت ايضا أطراف عربية كثيرة جعلت من الخروج الفلسطيني من بيروت أشبه بالانتصار للمقاومة ، تم الاحتفال بعرفات عند سفره الى المغرب لحضور قمة فاس التى أقرت مشروع الملك فهد ، خرج كل الملوك والرؤساء العرب الى المطار لاستقبال ياسر عرفات كان الجنرال الاسد فقط هو الذى رفض مشاركة استقبال عرفات كان حصار عرفات برجاله القليلين ومعداته المحدودة فى بيروت قد أهاجت مشاعر العرب ، خلال حرب لبنان ؛ ولم يكن الاداء السورى فى لبنان مثار اعجاب أحد .

رفض الاسد مقابلة عرفات فى فاس ، بعد أقل من عام قرر طرده من دمشق . كانت القضية الفلسطينية برمتها هى الهدف الاخير لكل أولئك الذين استمتعوا بقرار الرئيس السورى بابعاد عرفات عن سوريا ، أيضا كل وسائل الاعلام العربية رددت مشكورة نفس التعبير ، كتبته فى مانشيتات الصحف مالم يستكمله شارون أنجزه أصحاب القضية !!

لن يقول التاريخ أن حافظ اسد هو الذى شق بمفرده المقاومة الفلسطينية ، او هو الذى أعطى للمتمردين كل الامكانيات السورية لنسف المنظمة ، او هو الذى انتقل بسهل البقاع من منطقة موجهة عالمية لم يسبق لها نظير ، الى ساحة اقتتال بين أبناء النكبة . لن يقول التاريخ أن حافظ اسد بمفرده يستطيع أن يصنع مأساة بهذا الحجم ، لامة بهذا الحجم ، سوف تتسع المسئولية لتشمل شعب سوريا الذى سمح بذلك ، سوف تتسع لتشمل كافة النظم والحكومات العربية التى ساعدت على الوصول

بالقضية الفلسطينية الى هذا المأزق التاريخى ، ستكون مسئولية الشعب العربى بأكمله شاملة .

ان الحديث عن المتمردين من أمثال أبى موسى وأبى صالح وغيرهما ، والذين تم التوسع فى الكلام عنهم ، ورصد انتصاراتهم أو هزائمهم ومتابعة حصولهم على أراض جديدة من اخوان لهم فى السلاح ، فوق أرض ، لا هى فلسطينية ولا هى سورية ، هذه المتابعات المحمومة من جانب الاعلام العربى ، أصبحت فضيحة عصر بكامله . فضلا عن كونه تقصيرا لاجهزة اعلامية مرموقة تساق فى انفها الى بحار الانتحار العربى وهى لاتدرى ..

يشعر الامريكيون بارتياح علنى من الموقف السورى البناء ، يقولون انهم يضمنون الان خروج المقاتلين الفلسطينيين من البقاع عندما يقتنع الاسد باخراج قواته من نفس المكان ، مايقرره الاسد هو ما سوف ينفذه أبو موسى وأبو صالح وبقية المتمردين لا يملكون وسيلة للرفض اذا أرادوا ، يستطيع الاسد اعادة المحاولة بخلق متمردين آخرين من داخلهم يقاتلوهم ، وتضج وسائل الاعلام العربية مرة أخرى بصورهم وانتصاراتهم وهزائمهم .

وعندما استقبل الرئيس الاسد مستر شوليتز فى دمشق ، محصن هو بالمقاومة فى حسه ، معزز هو بقوات العقيد القذافى أيضا مشمول بكل الرعاية من زعماء المعتدلين العرب الذين تركوا عرفات ضحية اعتداله آملين أن يحرز الجنرال الاسد مالم يتمكنوا هم من تقديمه هدية للامة . لكن شيئا من ذلك لم يقع ، لقد غادر شوليتز دمشق ،

وهو أكثر اقتناعا بأن النظام السورى ، يمكن طرده بالقوة من لبنان اذا لزم الامر ، وهو الامر الذى وقع بالفعل ؛ بعد أقل من شهرين من زيارة وزير خارجية امريكا لسوريا ، لقد تعرضت قواعد الصواريخ السورية فى البقاع لمدافع الاسطول السادس الامريكى ، وقنابل الطائرات الامريكية والاسرائيلية ، ودفع السوريون والفلسطينيون الثمن باهظا على أرض لبنان ، لقد تم اخراج عرفات للمرة الثانية خلال عام واحد من ارض لبنان ، ويعكف الامريكيون على محاولة اخراج السوريين ايضا .. لعل الامل أن تبقى لبنان لشعب لبنان ، فمن يضمن ذلك ...

فهرس

كتاب الهلال القادم :

راقصـــون

بلا حكومة

بقلم : راجى عنايت

رقم الايداع بدار الكتب : ١٦٧٣ ـ ٨٤
الترقيم الدولى : ٢ ـ ٧٦ ـ ١١٨ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ الكويت ـ الصفاة ـ ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

جدة ـ ص ـ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :
THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7. Bishopsthrose Road
London S.E. 26 ENGLAND

البرازيل :
Al. Miguel Maccul Cury. B. 25 de Maroc 990
Caixa Postal 7406, Sao Paulo. BRASIL.

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٣٠٠مليم :

سوريا ٦٠٠ ق٠س ، لبنان ٦٠٠ ق٠ل ، الاردن ٤٥٠ فلسا ، الكويت ٥٠٠ فلس، العراق١١٠٠ فلس ، السعودية٦ ريالات ، السودان ٦٠٠ مليم ، تونس ٦٥٠ مليما ، المغرب ٨٠٠ فرنك ، الجزائر ٦٥٠ سنتا ، الخليج ٤٥٠ فلسا ، غزة والضفة ١٨٠ ليرة ، الصومال ٥٠ بنى ، داكار ٤٠٠ فرنك ، لاجوس ٦٠ بني ، اسمرة ٥٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٥ ريال يمني، أديس أبابا ٥٠٠ سنت ، باريس ٨ فرنكات ، لندن ٨٠ بنس ، ايطاليا ١٤٠٠ ليرة ، سويسرا ٣٫٥فرنك ، اثينا ٨٠ دراخمة، فرانكفورت ٣٫٥ مارك ، فيينا ٣٥ شلنا كوبنهاجن ١٠ كرونات ، استوكهولم١٤كرونه ، كندا ٢٥٠ سنتا ، البرازيل ٣٥٠ كروزيرو ، نيويورك ٢٥٠ سنتا ، لوس انجلوس ٣٠٠ سنت ، استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٤ فلورينات ، عدن ٥٠ بني



هـذا الكتـاب

ان هذا الكتاب ، يقدم ، اجابات عن كل الاسئلة التى دارت فى العقل العربى ، حول غزو لبنان ، كيف وقع ، ولماذا ، ومن اى اتجاه تمكنت اسرائيل ، لاول مرة ، من دخول عاصمة عربية ، وكيف تم طرد الفلسطينيين ، وكيف أصبح اللبنانيون ، لاجئون فى بلدهم ٠ الخ٠

لعل ضرورة هذا الكتاب ، هى التى أملت على كاتبه ، اهمية تواجده أمام القارىء العربى ، لكى يتعرف على الظروف والملابسات التى مهدت لعملية الغزو الاسرائيلى للبنان ٠

ولماذا نجحت عملية الغزو ، وما هى الاطراف المحلية او الدولية ، التى اشتركت ، عن طريق التواطؤ ، او الصمت ، فى تشجيع اسرائيل على دخول دولة عربية ، كدولة احتلال ، فى عصر انتهت من قاموسه السياسى ، كلمة الاحتلال العسكرى ، لدولة مهما كانت قوتها ، ضد دولة أخرى ، مهما كان ضعف نسيجها السياسى ، او قدرتها العسكرية على رد العدوان ٠٠

ان مؤلف هذا الكتاب ، الاستاذ جمال الالفى ، يعرفه القارىء العربى ، منذ سنوات ، من خلال اسهامه المنتظم ، فى متابعة الاحداث التى طالت العالم العربى فى السنوات الاخيرة ، وانعكست على مسيرته الوطنية والقومية ، والاستاذ جمال الالفى هو محرر الشئون العربية فى مجلة المصور ، وخبير شئون الشرق الاوسط ، من خيرة المتخصصين فى المسالة العربية ــ الاسرائيلية ، تتسم كتاباته بالموضوعية ، والدقة ، والامانة التاريخية ، وسوف نكتشف حسه القومى منذ بداية سطور هذا الكتاب ، الذى نرجو ان يكون بداية لعشرات من الكتب التى تعالج هذا المنحنى الخطير فى العلاقات العربية ــ الاسرائيلية ٠

٣٠ قرشــا